محمد المبارك



دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية

مطبعة جامعة دمشق

الإهداء

الى روح باعث النهضة اللغوية في بلاد الشام
وغارس حب العربية وتراثها في نفوس الجيل العربي فيها
الراوية اللغوي . . . والدي وأستاذي

عبد القادر المبارك

اهدي كتابي هذا ، فهو ثمرة من غرسه ،
وغيض من فيضه رحمه الله واجزل مثوبته

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

حمداً لله على ما منّ به علي من التوفيق لما فيه خدمة اللسان الذي به نزل الكتاب المبين وأدى به النبي العربي صلوات الله عليه رسالته الى قومه والى الناس كافة فكانت العربية لغة الرسالة التي عم الانسانية خيرها وفضلها ثم كانت لغة الحضارة التي انبثقت عنها فامتدت فروعها وبسقت دوحتها واينعت ثمارها علماً نافعاً وادباً رفيعاً وفناً بديعاً وخلقاً كريماً وعملاً طيباً .

وبعد فقد عهدت الي كلية الآداب في عام ١٩٤٩ تدريس فقه اللغة فيها فصادف هذا التكليف هوى في نفسي يرجع الى عهد بعيد . ولكن صوارف كثيرة كانت قد شغلتني عنه فوجدت في ذلك راحة لنفسي واطمئناناً والفيت في الاقبال على الابحاث اللغوية إحياء لميل قديم موروث وحفظاً لجهد كنت بذلته في هذا السبيل . فطالما قضيت الساعات الطوال مع والدي رحمه الله في شرح المعلقات أو لامية العرب للشنفري أو المقصورة الدريدية [1] أو مقامات الحريري أو أمثالها من آثار لغتنا . وقد طفقت مذ كنت ناشئاً أعب من معين روايته الواسعة وانهل من ينبوع لغته العذبة في جلسات خاصة أو مع زملائي في (تجهيز) دمشق أي مدرستها الثانوية أو في مدرسة الأدب العليا التي كانت

---

(١) وله عليها شرح في مجلد كبير لم يطبع اودعت منه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق وكان أحد اعضائه وبقيت نسخة اخرى في مكتبتنا .

النواة الاولى لكلية الآداب. وكان رحمه الله ، لكثرة ما عاني من كلام العرب وروى من لغتهم وعرف من سيرتهم واخبارهم وأولع بادبهم ، يخيل الى جليسه والمستمع الى حديثه أنه يصغي الى واحد من رواة اللغة الأولين وعلمائها المتقدمين. ولم يكن شأنه مع اللغة العربية شأن عالم يدرسها أو يعلمها ولكنه كان معها في حياة وجدانية نفسية يعيش مع شعرائها الاولين ورواتها السابقين. وكانت معاجم اللغة ولا سيما لسان العرب لابن منظور بيئة يعيش في جوها ومع اصحابها ولم تكن اللغة عنده صناعة تعليم وقواعد للحفظ ولكنها كانت تجري منه مجرى السليقة والطبع حتى غلبت عليه في مجالسه الخاصة ، بل بين أهله وأولاده. وكانت المراسلات بيني وبينه حين سافرت الى باريز سنة ١٩٣٥ للتخصص في الآداب تدور اكثر ما تدور حول القضايا العلمية ولا سيما اللغوية منها. ثم اعقبني انتقاله الى رحمة ربه أواخر عام ١٩٤٥ حسرة شديدة وحرقة في نفسي اذ افتقدته وأنا اقدر ما أكون على الاستفادة من ثمار معرفته والعب من معينه والتمتع بمجالسته وكنت يومئذ مفتشاً اختصاصياً للغة العربية في وزارة المعارف.

لقد كان تدريسي فقه اللغة خلال سنوات عديدة في كلية الآداب دافعاً لي في الحقيقة الى تهيئة أبحاث في الأقسام الأساسية من فقه اللغة ولم يكن في العربية كتاب حديث جامع لهذه الابحاث الا كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي بجزئيه **علم اللغة وفقه اللغة**[1]. وقد حاول المؤلف فيهما ان ينقل الابحاث الحديثة في الانكليزية والفرنسية الى العربية وأن يجمع كذلك ما في مصادرنا العربية القديمة في الموضوع جمعاً منسقاً على التبويب الحديث لهذا العلم. وقد كان للمؤلف فضل السبق الى التأليف الحديث في هذا العلم والجمع بين المصادر الغربية الحديثة والعربية القديمة جمعاً منسقاً غزير المادة. الا أن الكتاب يبدو

---

(١) ظهرت الطبعة الثانية لهما سنة ١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م.

مؤلفاً من جزأين غير متمازجين عربي قديم وغربي حديث حتى كأن كل واحد منهما وضع بمعزل عن الآخر كما أن المؤلف أخذ بنظرات تبدو اليوم قديمة مسبوقة وتحتاج الى اعادة نظر فقد تقدمت ابحاث فقه اللغة ولا سيما في دلالة الالفاظ في السنوات الاخيرة تقدماً كبيراً وأصبح من الضروري متابعة التطورات الجديدة في هذه الابحاث ومحاولة الاستفادة منها في اللغة العربية وتطبيق ما يمكن تطبيقه عليها . هذا مع الاعتراف بفضل الدكتور وافي فيما بذل من جهد كبير في تقديم هذه المادة الغزيرة وتنسيقها . وقد ظهرت في هذه الفترة الأخيرة كتب حديثة المنهج أبرزها مؤلفات **الدكتور ابراهيم انيس** عميد كلية دار العلوم بالقاهرة وهي تتضمن محاولة ناجحة الى حد كبير لتطبيق النظرات الحديثة في فقه اللغة العام والمقارن على اللغة العربية ويبدو ذلك واضحاً في كتابيه **من أسرار اللغة** المطبوع عام **١٩٥١** **ودلالة الالفاظ** المطبوع عام **١٩٥٨** وقد جمع فيهما بين الجدة والجودة [١] .

ولا بد لي من القول إن مباحث فقه اللغة هي من أحدث المباحث العلمية التي لا تزال تتسع آفاقها وتتجدد نظراتها في اللغات الاجنبية بسبب تعمق الباحثين في كل لغة من اللغات المعروفة والتقائهم على صعيد فقه اللغة المقارن واستفادتهم من النظرات الحديثة في علم الاجتماع وعلم النفس والجمال. وأصبح لا غنى للباحث في فقه اللغة عن الاطلاع على ما كتب في اللغات الاجنبية في العقدين الاخيرين من السنين . واذا كانت لا تزال مؤلفات فرديناند برونو F. Brunot وميه Meillet وبالي CH . Bally وفاندريس Vendryes في اللغة الفرنسية محتفظة بقيمتها جديرة بالثقة لانها احتوت على جماع ما وصل اليه البحث العلمي حتى الربع الأول من القرن العشرين في ميدان فقه اللغة في اللغات الاوربية ،

---

(١) وقد ظهرت مؤلفات حديثة كذلك للدكتور تمام حسان ونأسف اذ لم تتح لنا فرصة الاطلاع عليها بعد .

فقد ظهرت ، بالاضافة اليها وبالاستناد الى أسسها ومناهجها ، مؤلفات جديدة في مختلف أبواب اللغة ؛ كمؤلفات الاستاذ اولمان Ulmann الاستاذ في جامعة كلاسكو في بريطانيا بالفرنسية والانكليزية في دلالة الالفاظ [1] وكمؤلفات ماروز Marouzeau [2] الاستاذ في السوربون وكريسو M. Cressot عميد كلية الآداب بنانسي وان كان ما كتباه يتعلق بالاسلوب واللغة معاً .

ذلك ما دفعني الى تأليف هـذا الكتاب فبدأت بكتابته في أواخر عام ١٩٥٧ وطبعت يومئذ أكثر أقسامه ولم يتيسر لي انجاز تأليفه وطبعه الا في أوائل هذا العام .

وقد اقتصرت في ابحاثه على ما يتعلق بالكلمة المفردة دون التراكيب اذ لا يزال البحث في الكلمات المفردة يؤلف القسم الأكبر من علم فقه اللغة وهو موضع عناية الباحثين وان كانت العناية بتراكيب اللغة أخذت تتزايد وانتهت الى تخصيص قسم خاص بالتركيب أو نظم الكلام . وكان موضوع تركيب الكلام يدرس في سائر اللغات في علم النحو من جهة وفي علم المعاني من علوم البلاغة من جهة أخرى . وقد اقتصرنا أيضاً على أبرز الابحاث المتعلقة بالمفردات وتركنا الابحاث التي تأتي في المرتبة الثانية الى فرصة أخرى ان شاء الله .

اما طريقة التأليف التي انتهجناها في الكتاب فقد كانت دراسة اللغة العربية من خلال النظرات الحديثة والابحاث المقارنة في فقه اللغة دون أن ندخل الضيم

---

(١) نشر في عام ١٩٥١ كتابه The Principles of Semantics في جامعة كلاسكو بالانكليزية ثم نشر في عام ١٩٥٢ بالفرنسية كتابه Précis de sémantique française وطبع في برن وهو أنفس ما ألف حديثاً في الموضوع من حيث عمقه وما تضمنه من معلومات ونظرات .

(٢) له كتاب موجز في فقه اللغة ظهر في سنة ١٩١٦ ثم اعاد المؤلف طبعه للمرة الثالثة سنة ١٩٥٠ ومن احدث مؤلفاته كتاب لغتنا Notre langue وقد نشره سنة ١٩٥٥ في باريز .

على العربية أو نلحق باصولها وخصائصها غبناً أو ظلماً . فلم نحاول أن تكون دراستناتقليداً أو احتذاءلدراسة اللغات الاخرى، فانللعربية عبقريتهاوخصائصها لذلك لم نأخذ من النظرات الحديثة الا اتجاهها ومناهجها أو بعضها ومسائلها العامة المشتركة بين اللغات .

كما أننا لم نعمد الى حشد الشواهد الكثيرة من المصادر العربية القديمة ولم نأخذ منها الا ما احتجنا اليه للاستشهاد أو لبيان ما سبق اليه علماؤنا من نظرات نافذة أو ابداع في البحث وكان أكثر اعتمادنا في الاستشهاد على ابن جنى ، العبقري العظيم الذي سبق بكثير من نظراته علماء اللغة في العصور الحديثة ؛ وعلى السيوطي الذي يعتبر كتابه المزهر بحق أجمع كتاب الف في اللغة في العصور السابقة كلها وأحسنها تبويباً وترتيباً مع ما فيه من نقول وشواهد ضاعت أصولها وفقدت الكتب التي أخذت منها .

وقد حاولنا ان يكون لابحاث الكتاب فكرة تنتظم اجزاءه ونظرة تجمع نواحيه وتلم أطرافه وان نقدم لانظار الباحثين اساساً لنظرية شاملة في فقه اللغة العربية مع نظرات وآراء في شتى أبحاثه تقدمنا بها لتكون موضوعاً للتمحيص والبحث وخاصة في بحثي الابنية أو الصيغ والاشتقاق .

هذا واننا لم ننظر الى العربية في عصر واحد من عصورها ولا وقفنا بها في حركتها في مرحلة او تاريخ بل نظرنا اليها في جميع عصورها فاستشهدنا بأمثلة من مفرداتها ومعاني ألفاظها المستعملة في العصر الحديث كما استشهدنا بأمثلة من العصر الجاهلي وصدر الاسلام والعصر العباسي حين لا يكون في ذلك خروج عن سنن العربية او افساد لخصائصها الاصيلة .

وسرنا في بحثنا على طريقة المقارنة والموازنة بين العربية واللغات الحديثة وقصرنا أمثلتنا غالباً على الفرنسية فجاءت الابحاث مزيجاً من فقه اللغة العام والمقارن وفقه اللغة العربية .

ولسنا ندعي فيما قدمنا من أبحاثنا العصمة من الزلل أو التنزه عن الخطأ أو

الخلل واما نعرضه على الباحثين للنظر والتمحيص مبتغين بذلك خدمة هذه اللغة العزيزة علينا والتي هي جزء أساسي من مقومات شخصيتنا وسجل لمآثرنا وتاريخنا وأداة لبناء مستقبلنا . والله نسأل أن يسدد خطانا وينير بصائرنا لنهتدي الى الحقيقة ونحسن الاستفادة منها لعمل الخير ونصرة الحق .

دمشق ٩ شعبان ١٣٧٩
٧ شباط (فبراير) ١٩٦٠

محمد المبارك

عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق

اللغة ودراستها

علم اللغة

اللغة في شكليها الملفوظ والمكتوب اداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا الى أذهاننا فكل ما تموج به الدنيا من مشاهد وصور ،في الطبيعة أو المجتمع ،ينتقل بصورة عجيبة الى الذهن بطريق الكتابة أو اللفظ ،وكذلك كل ما في الذهن من خواطر ومشاعر وأفكار ينتقل الى الآخرين ،وينتقل من عصر الى عصر ،ومن جيل الى جيل ، فاللغة هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر . تسبق وجود الاشياء أحياناً وتلحقها أحياناً اخرى ، فالفكرة التي تجول في الذهن كفكرة مجردة تنتقل الى شيء يتحقق وجوده ،وبعد أن يوجد الشيء ينتقل الى أذهان الآخرين بطريق اللغة . ولهذا كانت الكلمة رمز الخلق والايجاد « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون »[1]. ولهذا كان الكلام في سالف الأزمان أداة السحر ، وقديماً وفق

(١) وورد في القرآن الكريم كذلك : (حقت عليهم كلمة ربك) و (حقت كلمة العذاب) (وكلمته ألقاها الى مريم) ويعني بها المسيح عليه السلام.

الشاعر الجاهلي إذ جعل الكلام نصف الحياة الانسانية أو أحد أجزائها الثلاثة .

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقد قيل «اليد واللسان تلك هي الانسانية». ويكفي لنقدر قيمة اللغة أن نتصور الحياة البشرية وقد حذفت اللغة منها كيف تكون وماذا يبقى منها؟

إن اللغة عنصر أساسي في الحياة الاجتماعية مهما كانت ابتدائية ونزيد على ذلك أن اللغة لم تقتصر على أن تكون أداة نقل وتسجيل للحياة والأفكار بل انها ساعدت على نمو الفكر ورقي الحياة ، فهل كان بالامكان أن يرتفع الانسان من الواقع الجزئي كشجرة معينة يراها الى المفهوم العام أو المعقول الكلي لولا اللغة ؟ أليست هذه الألفاظ العامة التي نستعملها (كالشجرة والانسان والبشرية والحرية) أشبه بالرموز الرياضية ؟ أليست أشبه بالنقود التي يرمز بها الى القيم ؟ أولم تكن الرموز الرياضية والاقتصادية وسيلة للرقي في الميدانين الفكري والاقتصادي ؟ وكذلك اللغة فهي لم تقتصر على كونها معبرة عن التفكير بل كانت كذلك أداة نموه وارتقائه . وتستند اللغة في أداء وظيفتها الى التداعي أو التلازم الاصطلاحي بين الاصوات (مسموعة أو مكتوبة) والمعاني المقابلة لها بالنسبة الى كل لغة من اللغات . وثمة أدوات اخرى تؤدي وظيفة التعبير كالاشارات

والصور ولكنها كلها دون اللغة في قدرتها التعبيرية وقابليتها للارتقاء بارتقاء الحياة الانسانية .

فما هي هذه الاداة العجيبة ؟ وهل يعرف حقيقتها كل من يستعملها؟ ان من يشعل النار من بسطاء الناس لا يعرف كنه هذه الحادثة الطبيعية وصلتها ببقية الحوادث الطبيعية ؟ ولا يعرف كل من يستخدم مرافق الطبيعة كنه هذه المرافق . وكذلك فان استعمال اللغة لا يقتضي معرفة كنه هذه اللغة وخصائصها والقوانين التي تسير بحسبها إذ المعرفة التي نريدها هنا معرفة علمية تتناول قوانين اللغة وأسرارها في حين ان معرفة من يستعملونها معرفة سطحية كمعرفة أجسامنا ومجتمعنا والطبيعة التي نعيش فيها قبل أن ندرسها دراسة علمية عميقة .

ان من يحسن اللغة قد يعرف ألفاظها ومعانيها ونحوها وصرفها وأساليبها وفنون آدابها ولكن هناك مسائل أبعد من ذلك تطرح على بساط البحث : من أين أتت هذه الألفاظ ؟ وكيف نشأت ؟ وهل الاصوات التي تتألف منها ثابتة أم متبدلة ؟ وما هي الصلة بين الالفاظ ومعانيها ؟ وهل الصلة بين اللفظ ومعناه ثابتة أم متحولة ؟ وكيف تتبدل معاني الالفاظ ؟ وهل لذلك قوانين عامة تنطبق على اللغة الواحدة وعلى اللغات جميعاً ؟

ثم هذه القواعد الصرفية والنحوية كيف نشأت ؟ وهل هي كذلك في جميع عصور اللغة ؟ هل تمثل جانباً من عقلية أصحابها وهل

تنطبق قواعد الصرف والنحو على اللغة في جميع عصورها منذ نشأتها حتى يومنا هذا فتظل ثابتة ؟ أم انها لا تمثل إلا مرحلة زمنية معينة من مراحل حياة اللغة واذا كان الأمر كذلك فهل هناك قوانين أعلى منها تنطبق على اللغة في جميع عصورها ومراحلها ؟ وهل هناك قوانين تسيطر على اللغات بصورة عامة كما تسيطر قوانين الطبيعة في كل مكان ؟ ان اللغة حادثة اجتماعية وقد أخذ علم الاجتماع ينظر الى الحوادث الاجتماعية كما ينظر علم الطبيعة الى الحوادث الطبيعية يستقرىء حوادثها وحالاتها ويستخرج قوانينها التي يرى أنها ثابتة فلم لا تكون اللغة كذلك ؟ أوليست اللغة متصلة بحياة شعب من الشعوب تنتقل معه في الآفاق المادية والمعنوية ترتسم فيها صور بيئته الخصبة أو الوعرة وتنتقل معه وترافقه في رحلاته وغزواته وتنعزل معه اذا انعزل وتختلط بغيرها اذا اختلط بغيره من الشعوب ثم هي ترافقه في آفاق حياته الفكرية فتنخفض فلا تسجل إلا الحسيات وتحلق اذا حلق الشعب في آفاق التفكير العلمي والفلسفي .

واللغة تحتفظ ببقايا ورسوبات من صور الماضي ولو زالت تلك الصور . فكلمة (صفقة البيع) تصور لنا وضعاً ماضياً كان يحدث بين المتبايعين ومعناها ضرب اليد على اليد وكذلك كلمة (عقد) إذ كان المتعاقدان على أمر يعقدان طرف ثوبيهما .

وكذلك فان كلمة (صراط) في العربية المأخوذة عن اليونانية

وهي في الفرنسية (estrade) وفي الانكليزية (street) ومعناها الطريق المعبد تدلنا على ان العرب عرفوا الطرق المعبدة عن جيرانهم وان بين الامتين صلات .

فهل تدرس اللغة في علم الاجتماع على انها حادثة اجتماعية ويكون موضوعنا فرعاً من فروع علم الاجتماع أو هو (علم الاجتماع اللغوي) حيث تدرس دراسة اجمالية من حيث صلتها بالحوادث الاجتماعية الاخرى ؟ .

ان للغة حياة مستقلة ووجوداً ذاتياً فهي وإن كانت تتأثر بحوادث المجتمع تتفاعل حوادثها تفاعلاً خاصاً وتسير وفقاً لقوانين خاصة بها فلا بد أن تدرس دراسة مستقلة في علم خاص على أن تراعى في دراستها هذه الصلات بالمجتمع وحوادثه . فهناك دراسة خاصة للغة وعلم خاص تبحث به اللغة بوجه عام . وعلم اللغة بهذا المعنى يختلف عن دراسة جزئيات اللغة ، فعلم النحو والصرف وعلم مفردات اللغة تبحث اللغة في نطاق محدود ضيق : فعلم مفردات اللغة يبحث في مفردات معينة جزئية ويعطينا معانيها وعلم النحو والصرف يعطينا قواعد لغة معينة في عصر معين فلا تطبق مثلا قواعد (ان وأخواتها) أو (كان وأخواتها) على لغة اخرى فقواعد النحو والصرف ضيقة النطاق لا تنطبق إلا على لغة واحدة وفي حدود معينة من الزمان والمكان .

فعلم اللغة : هو هذه الدراسة الشاملة للغة بوجه عام لاستخراج

قوانينها الخاصة بها ومعرفة تطورها سواء أكان ذلك في أصواتها وألفاظها أو مفرداتها ومعانيها أو تراكيبها وأساليبها . ومن هنا يتجلى صلة هذا العلم بما ذكرناه من العلوم اللغوية أو غيرها . فعلم النحو والصرف ومفردات اللغة هذه ليست إلا أدوات يستعين بها علم اللغة العام وليست إلا جزئيات بالنسبة إليها ويستعين علم اللغة كذلك بعلوم أخرى كعلم الاجتماع وهو أكثر العلوم الاخرى غير اللغوية صلة باللغة فانه يبحث اللغة على انها حادثة اجتماعية من حيث تأثرها بالحوادث الاجتماعية الاخرى وكذلك علم النفس فانه يدرسها على انها حادثة نفسية . فللغة اذاً جانب اجتماعي وآخر نفسي . ومثلها علم الاصوات فاللغة في حد ذاتها حادثة صوتية فيزيولوجية بمعنى انها أصوات تحدث بطريق معينة بالنسبة الى أعضاء جسم الانسان ويمكن أن تدرس في علم الفيزياء الصوتي الذي يدرس تواترها وشدتها وما اشبه ذلك من مسائل .

ليس من السهل الميسور دراسة اللغة . ذلك ان اللغة اداة مركبة معقدة فهي ذات جوانب كثيرة وتتألف من عناصر متعددة وتأخذ خلال الزمن اشكالا مختلفة تتنوع وتتعدد بتعدد البيئات والمجتمعات والطبقات . فهي كما قلنا آنفا تتألف من حوادث (صوتية) يبحثها علم الفيزيولوجيا وعلم الفيزياء و (نفسية) يبحثها علم النفس و (اجتماعية) يبحثها علم الاجتماع و (تاريخية) يسردها علم التاريخ ويسجلها

و (جغرافية) فيبحث علم الجغرافيا اللغوي في توزعها في القارات والمناطق والاقاليم .وهي تتألف من عناصر هي :الاصوات والالفاظ المفردة باعتبار مادتها وصيغتها ومعناها والتراكيب . وهذه العناصر جميعها كثيراً ما تتبدل وتتطور خلال الزمن وكثيراً ما تتغير بتغير الاقاليم والمهن والطبقات .

فعلم اللغة : اذن علم قائم بذاته مستقل عن هذه العلوم جميعا وان كانت له بها صلات وكان يستعين بها في دراسته ، فهو دراسة للكلام البشري بوجه عام في تكوينه وعناصره وتركيبه ،وفي حركته وتطوره، وفي ادائه وظيفته التعبيرية ، وفي تحققه في الوجود في اشكال متعددة هي اللغات المختلفة . وهو يختلف عن علم قواعد النحو والصرف وعلم مفردات اللغة من عدة وجوه في شموله وعمومه ونظرته التطورية .

وعلم اللغة قد يكون عاماً يتناول اللغة بوجه عام وتكون ساحة البحث فيه شاملة للغات المعروفة يدرس الظواهر اللغوية في جميع اشكالها. وقد يكون خاصا بلغة من اللغات يتتبع ظواهرها وخصائصها وتطورها وقوانينها ويسمى حينئذ علم اللغة الخاص كعلم اللغة العربية .

عناصر اللغة واقسام علم اللغة

للغة عناصر تتألف منها وترجع بالتحليل اليها وهي :

١ ــ الاصوات التي تتألف منها الالفاظ .
٢ ــ الالفاظ المفردة او الكلمات .
٣ ــ التراكيب .

ولكل من هذه العناصر مباحث خاصة هي فروع لعلم اللغة وقد اصبح بعضها علما افرد بالبحث والتأليف .

١ ــ فعلم الاصوات اللغوية : (Phonétique)

يدرس الحروف من حيث هي اصوات فيبحث عن مخارجها وصفاتها وعن قوانين تبدلها وتطورها بالنسبة الى كل لغة من اللغات وفي مجموع اللغات القديمة والحديثة .

وقد عني العرب قديماً بهذا العلم وذلك لضبط تلاوة القرآن ولعلهم اقدم من بحث هذه المباحث الصوتية كما اننا نجد مباحث صوتية منثورة في كتب الصرف واللغة .

وقداصبح لهذه المباحث في العصر الحديث كتب خاصة بل معاهد خاصة كمعهد المباحث الصوتية في باريز .

٢ ـــ الالفاظ

اما الالفاظ فقد تناولها علماء اللغة من وجوه عدة فبحثوا :

١ – في اشتقاقها وارجاعها الى مادتها الاصلية سواء اكانت من اللغة نفسها او منقولة من لغة اخرى فـ (علم الاشتقاق) (Etymologie) يبحث في الاطوار التي تقلبت فيها الكلمة ويحدد بذلك صلتها بالالفاظ الاخرى وقرابتها وتحولاتها .

٢ ـــ وبحثوا كذلك في شكل الكلمة وصيغتها او بنائها (Morphologie) ولا شك ان هذا هو موضوع علم الصرف ولكن علم الصرف لا يخرج الى الافق الذي يبحث فيه علم اللغة الموضوع نفسه اذ يبحث علم اللغة في نشوء الصيغ وتطورها خلال العصور ويقارن في ذلك بين اللغات ولا سيما المتقاربة منها .

٣ ـــ وبحثوا بعد هذا في معاني الالفاظ من نشوء هذه المعاني الى تقلبها خلال العصور وتطورها وفي قوانين هذا التطور في اللغات وما للالفاظ من حيث معانيها من خصائص وصفات وقد افردت هذه المباحث في علم معاني الالفاظ (Sémantique) ولا شك انه لا بد من تعاون علمي الاشتقاق ومعاني الالفاظ لشدة اتصال احدهما بالآخر .

٣ — التراكيب

واما التراكيب فيبحث علم اللغة في تراكيب اللغات و نظم الكلام وتركيب اجزائه فيها وفي طريقة ربط الكلام والادوات الرابطة ووظائف الكلمة في التركيب وتعليل ذلك كله وصلته بنفسية المتكلم وعقلية الشعب وتطور التراكيب خلال العصور واسبابه وهو بحث كما يرى القارىء اوسع افقا من علم النحو ومن علم المعاني الذي هو عند العرب احد علوم البلاغة الثلاثة وان كان علم اللغة في هذه المباحث يستفيد من هذين العلمين ولكن ليخرج الى افق اوسع .

يضاف الى هذه المباحث الخمسة : (١) الاصوات (٢) والاشتقاق (٣) والصيغ (٤) والمعاني (٥) والتراكيب ابحاث عامة في اللغة منها :

(٦) التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض سواء من جهة المفردات والتراكيب او غيرها ويدخل بحث التعريب في هذا الباب .

(٧) واللهجات التي تتفرع عن اللغة الواحدة والبحث في كيفية نشوئها وتفرعها وتطورها واسباب ذلك وقد افردت لذلك مباحث جمعت في علم اللهجات (Dialectologie) .

(٨) والرسم او الكتابة وهو كذلك بحث ملحق بعلم اللغة ذلك ان اللغة في شكلها المكتوب لها مشكلاتها الخاصة بالنسبة الى كل لغة من اللغات ولها تطورها الذي لا يسير دوما مع تطور اللغة نفسها .

ولا بد لنا بعد هذا من القول ان البحث في نشوء اللغة بوجه عام يبحث عادة في كتب اللغة قديما وحديثا . ولكننا اذا اردنا ان نبقي علم اللغة علما وضعيا يستند الى الاستقراء ويعتمد على الاستنتاج ليصل الى قوانين تشبه القوانين المستخرجة من الطبيعة فلا مناص من اخراج البحث في نشوء اللغة من نطاق علم اللغة ليكون في نطاق المباحث الفلسفية التي تبحث في منشأ المادة ونشوء الحياة لان بحث نشوء اللغة لا يزال يستند الى حد كبير الى التقدير والتخمين ويشبه هذا الموقف تمام الشبه موقف علم الكيمياء وعلم الفيزياء وعلم الحياة من اصل المادة والقوة والحياة في الكون اذ لم تعدهذه المباحث جزءاً من تلك العلوم وان كان الباحث حديثاً في هذا الموضوع يجد بين يديه من المعلومات اللغوية والاجتماعية والنفسية ومن المقارنة بين اللغات الحديثة والقديمة واحوال الاقوام الابتدائية وغيرها مايستطيع الاستفادة منه لبحث نشوء اللغات مما لم يكن معلوما عند الباحث القديم هذا عدا عن أن البحث في أصل اللغة ومنشئها لا يعود على علم اللغة بفائدة كبيرة .

علم اللغة عند العرب

١ ــ بدأ علم اللغة عند العرب بتدوين مفردات اللغة وجمعها اذ انكب رواة اللغة على جمعها وتصنيفها ، وكانت الغاية الاولى من ذلك

فهم القرآن وشرح الفاظه ، فظهرت مؤلفات كثيرة وهي رسائل تجمع المفردات اللغوية المتعلقة بموضوع واحد . ولو رجعنا الى كتاب الفهرست لابن النديم لوجدنا في اخبار اللغويين والنحويين عناوين متشابهة لمؤلفين مختلفين مثل كتاب خلق الانسان والخيل والابل والانواء والنبات والشجر والوحوش والغنم والسلاح .

نجد هذا في أخبار الاصمعي وأبي زيد وقطرب والاخفش والنضر ابن شميل وغيرهم . ونجد الى جانب هذه الرسائل الخاصة كتبا في غريب القرآن وغريب الحديث وفي نوادر اللغة لهؤلاء اللغويين انفسهم . وقد كانت هذه المؤلفات كلها نواة للمعاجم الكبيرة التي الفت في المرحلة الثانية من مراحل التأليف في اللغة مرحلة الجمع الشامل.

٢ ــ ولم تتأخر كثيراً عن هذه المرحلة الاولى مرحلة التعليل واستنتاج القواعد والقوانين اللغوية مبتدئة بطور البساطة متدرجة شيئاً فشيئاً نحو البحث العلمي في اللغة فظهرت كتب النحو واللغة في القرن الثاني للهجرة ومنها الكتاب لسيبويه (١٨٠ هـ) والمقاييس في النحو والاشتقاق للاخفش (٢٢١ هـ) والعلل في النحو لقطرب (٢٠٦ هـ) والقلب والابدال والاشتقاق للاصمعي (٢١٤ هـ) والابنية والتصريف للجرمي والتصريف للمازني (٢٤٩ هـ)[1]

---

(١) هذه السنون تشير الى تاريخ الوفاة .

وقد تطور البحث اللغوي وارتقى حتى بلغ مستوى عاليا في اواخر القرن الرابع للهجرة في مؤلفات احمد بن فارس صاحب كتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وابن جنى صاحب الخصائص وقد ظهرت لدى هذين المؤلفين فكرة واضحة عن علم اللغة بالمعنى المعروف في عصورنا الحديثة على انه علم القوانين العامة الناظمة لجزئيات اللغة وبمعنى اعم واشمل من علم النحو .

قال ابن فارس في مقدمة كتابه الصاحبي :

« ان لعلم العرب اصلاً وفرعاً ، أما الفرع فمعرفة الاسماء والصفات كقولنا كقولنا رجل وفرس وطويل وقصير وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلم . واما الاصل فالقول على موضوع اللغة واوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطبتها وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً » .

ولكن الفكرة عند ابن جني أوضح منها عند ابن فارس اذ يصرح ان هذا العلم بالنسبة الى النحو كاصول الفقه بالنسبة الى الفقه ويرى نفسه في هذا المجال فاتحا لطريق جديدة لم يسبقه اليها احد الا الاخفش اذ الم بها الماما . قال ابن جني في مقدمة كتابه الخصائص :

« هذا كتاب لم ازل على فارط الحال ، وتقادم الوقت ، ملاحظاً له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والروية اليه ، وادّاً أن أجد مهملاً اصله به ، أو خللاً ارتقه بعمله ، والوقت يزداد بنواديه ضيقاً ، ولا ينجح لي الابتداء طريقاً ، هذا مع اعظامي له ، واعتصامي بالاسباب المناطة به ، واعتقادي فيه انه من أشرف ما صنف في علم العرب ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ،

واعوده عليه بالحيطة والصون ، وأجمعه للادلة على ما اودعته هذه اللغةالشريفة ، من خصائص الحكمة ، ونيطت به علائق الاتقان والصنعة ، فكانت مسافر وجوهه ، ومحاسر اذرعه وسوقه ، تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره ، وتجيء الى بما خيطت عليه أقرابه وشواكله ، وتريني ان تعريد[١] كل من الفريقين : البصريين والكوفيين عنه ، وتحاميهم طريق الالمام به ، أو الخوض في أدنى أوشاله وخلجة ، فضلاً عن اقتحام غماره ولججه ، إنما كان لامتناع جانبه ، وانتشار شعاعه ، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه ، وذلك انا لم نر احداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو ، على مذهب أصول الكلام والفقه »



(١) التعريد = الهرب والفرار .

فقه اللغة في العصر الحديث

يعتبر فقه اللغة من العلوم الحديثة في هـذا العصر وقد كان العرب في هذا العلم أسبق من غيرهم للسير به خطوات كبيرة وبلوغ المرحلة التي أصبح فيها علماً قائماً بذاته، واضح المعالم، علمي الاسس والطريقة. ولـكن هـذه المباحث اللغوية في العصر الحـديث خطت خطوات كبيرة اخرى بفضل ما أتيح للباحثين من وسائـل كانت مفقودة أو قليـلة في العصور السالفة منهـا ما قدمه علم النفس وعلم الاجتماع من مباحث ونتائج ونظريات وحقائق لم تـكن منـكشفة من قبـل وهي مباحث ذات صلة قوية باللغة الـتي هي حادثة نفسية اجتماعية في آن واحد .ومنها اتساع نطاق معرفة اللغات القديمة والحديثة ، فقد بلغ عدد اللغات المعروفة ، المستعملة والمتروكة ، حداً لم يعرف من قبل في أي عصر من العصور . ففي أواخر القرن الثامن عشر ألف (بالاس) أحد علماء اللغة في فرنسا كتابا استشهد فيه بمئتـين وثمانين لغة ما بـين لغة ولهجة من لغات اوربا وآسيا وافريقيا وامريكا ولهجاتها .

وبلغ عدد اللغات التي نقلت اليها الانجيل جمعية الكتاب المقدس في بريطانيا المؤسسة عام ١٨٠٤ سبع مئة وسبعين لغة في عام ١٩٤٧ .

وقد غدا لكل لغة من اللغات الحية لغويون اخصائيون، وكثرت الدراسات اللغوية في كل لغة من اللغات المشهورة القديمة والحديثة، وصنفت اللغات في مجموعات واسر كاللغات السامية واللغات الهندية الاوربية واللغات اللاتينية واستمر البحث في اللغات القديمة.

وقد نشأ علم اللغة عند الغربيين من دراسة القواعد النحوية وبعض المباحث الفلسفية المتعلقة باللغة واعان على ذلك دراسة بعض اللغات القديمة كما كان للكتابة منذ القديم أثر في نشوء هذا العلم ونموه فان تثبيت اللغات في شكل مكتوب أطلعنا على مراحل اللغة الواحدة في تطورها ودعا الى دراسة النصوص القديمة. وهذا يشبه ما حدث في تاريخ اللغة العربية اذ يلاحظ ان استنباط قواعد النحو وتدوين ملاحظات اللغويين انما ظهرا إثر تدوين نصوص العصر الجاهلي.

وقد ظهر علم اللغة التاريخي في اوربا في القرن التامن عشر إثر دراسة اللغات المختلفة واتصال الامم بعضها ببعض، كما ظهر في القرن التاسع عشر علم اللغة المقارن وقد اثارت فكرة تطور اللغات التي ظهرت للباحثين من الاطلاع على اللغات وتاريخها أفكار عديدة عن منشأ اللغة في القرن الثامن عشر ولكن توسع البحث في علم اللغة التاريخي المقارن صرف النظر عن هذا البحث الى البحث في تاريخ اللغات.

وتقوم طريقة البحث في علم اللغة في هذا العصر على الاسس التالية :

أولاً — الاستقراء :

ان ما بلغه هذا العصر من السعة الكبيرة في معرفة اللغات القديمة والحديثة ،الشرقية والغربية،هيأ للباحث اللغوي مادة غنية جداً للبحث والدرس .فاذا ما أراد بحث ناحية من نواحي اللغة استطاع أن يستمد الامثلة والشواهد الكثيرة من عدد كبير من اللغات وبذلك يكون بحثه أدق وأضبط ، واستنتاجاته أصح وأحكم . واذا أراد البحث في تطور معاني الالفاظ عمد الى مباحث الاخصائيين في كل لغة من اللغات ليستمد من أبحاثهم الخاصة ويستقى من أمثلتهم ما يعينه على استخراج القوانين والضوابط التي تنطبق على هذه اللغات جميعاً.وكذلك الشأن في بحث الاشتقاق أو الاصوات اللغوية أو التعبير عن الازمنة في الافعال مثلا .

ولا مجال للمقارنة مطلقاً بين هذه المادة التي لا تنفد من دراسات اللغات التي تجاوزت المئات في عددها واختلفت في مراحل تطورها وبين المادة التي كانت عدة الباحث في اللغة قديماً إذ كان العالم لا يعرف إلا لغته وقد يزيد على ذلك بمعرفة لغة أو لغتين ويندر أن يتجاوز ذلك الى بضع لغات .

ثانياً — المقارنة :

لا شك أن استقراء الشواهد والامثلة من لغات مختلفة يفسح المجال

للمقارنة بين هـذه اللغات ومعرفة ما بينها من تشابه أو اختلاف وما بين خصائصها من اشتراك أو تباين والضوابط والقوانين التي تنظمها جميعاً أو تنظم بعضها دون بعض وذلك مما يمكن الباحث من التحقيق في صحة ما يستنتجه من قوانين عامة في اللغة فقد تتكشف للباحث من الحقائق في لغة من اللغات ما غمض أو استتر في لغة أخرى وقد يبعث التشابه في بعض الامثلة أو الشواهد اللغوية من لغات مختلفة على التفكير في الصلة بينها أو تماثل تطورها أو انطباقها على قانون واحد .

ثالثاً — اعتبار التطور في اللغة

ان قواعد النحو في كل لغة انما استنتجت وسجلت في عصر من عصور اللغة فلو ابتعدنا عن ذلك العصر ونظرنا الى اللغة فيما قبله من العصور أو ما بعده لوجدنا أن تلك القواعـد قد تختل قليلا أو كثيراً وكذلك مفردات اللغة التي تدون معانيها في زمن من الازمان لا تحافظ دوماً على تلك المعاني ولم تكن كذلك ملازمة لها منذ الازل فان الالفاظ قد تتبدل معانيها قليلاً أو كثيراً خلال الزمن وعلى ذلك فان سائر عناصر اللغة من ألفاظ وتراكيب وقوالب ومعان لا تبقى ثابتة على الزمن بل تتحول وتتبدل ولذلك فان البحث في اللغة لا يكون على أساس النظر الى وضعها في عصر من العصور بل على اعتبار المراحل التي مرت بها خلال العصور بالنسبة الى كل ناحية من نواحيها كالاصوات

والصيغ والمعاني وطرائق تركيب الكلام والتعبير عن الزمن أو العدد (الجمع والمفرد) أو الجنس (المذكر والمؤنث) .

فان اللغة كسائر المظاهر الاجتماعية يطرأ عليها التبدل والتغير ولهذا وجبت مراعاة فكرة التطور في سائر الابحاث اللغوية وهذا ما يفعله الباحثون في علم اللغة في هذا العصر . ولا بد لنا من ابداء بعض الملاحظات المتعلقة بفكرة تطور اللغة والتي تدفع الالتباس وتلقي شيئاً من النور عليها .

١) لا يكون التطور واحداً في جميع اللغات من ناحية شموله فقد يكون شاملا لساحات واسعة من اللغة أو مقصوراً على نواح دون الاخرى كما انه قد يكون بطيئاً لا يحصل إلا في الآماد الطويلة أو سريعاً تبدو نتائجه في زمن قصير لا يعدو العشرات من السنين . فاللغة العربية لم تتغير مثلا أصواتها (حروفها) منذ مدة تزيد على خمسة عشر قرناً وكذلك صيغها وأصول موادها على حين اننا نرى اللغة الفرنسية مثلا قد تبدل منذ خمسة قرون الكثير من عناصرها كالاصوات وتصاريف الافعال وبعض التراكيب ومعاني أكثر ألفاظها .

٢) ان التطور في اللغة يمكن أن يسير في احدى طرق كثيرة لا يمكن التنبؤ سلفاً عن التي سيسير التطور فيها ذلك ان العوامل المؤثرة في تطور اللغة لا يمكن أن تضبط وتحصر بل ان بعضها غير قابل للحصر بطبيعته فان للحوادث التاريخية والمصادفات وغيرها من

الحوادث والعوامل الخارجة عن النطاق اللغوي أثراً في مجرى التطور اللغوي وهذه الحوادث من العسير اذا لم نقل من المستحيل حصرها والتنبؤ عنها قبل وقوعها . فان التقاء لغة باخرى في بلد من البلاد مثلا أثر استيلاء أمة على أخرى ينتج نتائج كثيرة تتعلق بلغتي هاتين الامتين إذ تتأثر احدى اللغتين بالاخرى أو كل واحدة منهما بالاخرى سواء من ناحية تلفظ الحروف أو تداخل مفرداتهما أو غير ذلك من النواحي.

وان للعوامل الدينية والقومية أثراً كذلك في توجيه هذا التطور في وجهة دون اخرى مع ان الاصل امكان سيره في كل من هذه الوجهات دون مرجح ومثال ذلك رغبة البلاد العربية اليوم في العودة الى الفصحى والابتعاد عن العامية اللهم إلا أصواتاً خافتة منكرة ارتفعت ثم انخفضت في مصر والشام . ومن هذا القبيل أثر القرآن والاعتقاد بقدسية لفظه في الابقاء على اللغة العربية في كلماتها وتلفظ حروفها وسائر عناصرها فلولا ذلك لانتهى الأمر الى ظهور لغات محلية تتطور نحو التباين والاستقلال في الشام والعراق ومصر والحجاز والمغرب ولأدى الأمر الى ما أدى إليه أمر اللغة اللاتينية التي تطورت الى لغات مختلفة هي اليوم الايطالية والاسبانية والفرنسية وقل مثال ذلك في لغة الاوردو التي تتطور اليوم في اتجاهين مختلفين في الهند والباكستان بتأثير عوامل دينية وقومية في آن واحد .

٣) ان التطور في اللغة شأنه في ذلك كشأنه في سائر مجالات الحياة

لا يتجه دوماً نحو الأحسن ولا يكون دائماً بمعنى التقدم والارتقاء فقد يكون ترديا وانتكاساً. وان التطور لا يسير دوماً في خط مستقيم مثال ذلك تطور أصوات الحروف العربية فقد تطورت في فترة من الزمن وفي بعض المناطق العربية نحو حذف بعض الحروف أو تغييرها كالذال والثاء والظاء والقاف ثم عادت الى الظهور مرة أخرى الى شكلها القديم بالتدريج وبقيت محافظة على حالتها في مناطق أخرى من البلاد العربية .

وان بعض اللغات التي لم تستطع أن تجاري تطور الحياة وتعبر عن أغراض أصحابها غزتها لغات أجنبية غزواً انتهى بها الى موتها وحلول لغة أجنبية محلها وبذلك كان تطورها نحو الفناء والموت لا نحو التقدم والارتقاء .

٤) ولذلك فان البحث في أطوار اللغة لا يفيد الحكم دوماً بالحسن على الطور المتأخر في الزمن وبالقبح على المتقدم فان البحث العلمي يتجرد عن مثل هذا الحكم وانما يدرس واقعاً ويصور حقيقة محسوسة ويحاول تحليلها وتعليلها دون أن يحكم عليها بالصحة أو الفساد ولكننا بعد أن ننتهي من البحث العلمي في تطور اللغة لنا أن نحكم على هذا التطور بالصحة أو الفساد بمقاييسنا ومفاهيمنا وآرائنا وعقائدنا فتطور اللغة العربية من طورها القديم الى طور اللهجات العامية ثم من هذا الطور الى طور

آخر حديث أمر واقع يمكن أن يدرس ويبحث عن أسبابه وعوامله ولكن ينظر إليه العربي بنظرة تختلف عن نظرة أصحاب النزعات الاقليمية كالفرعونية والسورية من جهة الحكم عليه وان دخول الكلمات الاعجمية في اللغات العربية في هذا العصر حادثة واقعة يمكن أن تدرس على انها كذلك فتستقصى جزئياتها وتبحث أسبابها وتحصر ميادين استعمالها وتصنف مفرداتها وينظر كذلك في تطورها خلال نصف قرن وكيف اختلفت عدداً ونوعاً وشكلا ، ولكن البحث في كون ذلك خيراً أو شراً تختلف فيه نظرات الباحثين اختلافاً يرجع الى عوامل غير البحث اللغوي هي عوامل فكرية اعتقادية .

٥) ان استمرار الامة والحفاظ على خصائصها يبدو الى حد كبير في لغتها ويظهر في تعبيرها ولذلك قد يكون التطور طريق اتصال بالماضي اذا كان متصل الحلقات سائراً في اتجاهات اللغة محييا لخصائصها كما انه قد يؤدي إلى القضاء على معالم اللغة والبعد عن خصائصها وذلك إذا كانت اللغة عاجزة عن التعبير عن ظروف الحياة المستجدة أو كانت قادرة ولكن غزتها لغة أخرى في مفرداتها وتراكيبها حتى ضاعت معالمها وملامحها وانقطعت عن الصلة بماضيها .

رابعاً — استنتاج القوانين العامة :

ان اللغة كما قدمنا مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية وهي تتبدل

وتتطور فهي لذلك تخضع كما تخضع سائر الحوادث والمظاهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها وتتطور بحسبها فليس تبدلها اعتباطاً ولا تطورها فوضى ، وقد ادرك ذلك علماء كل لغة فاستخرجوا بادىء ذي بدء قواعد لضبطها على الوجه الصحيح وتمييز الخطأ من الصواب ،أوليست هذه القواعد (النحوية والصرفية) دليلاً على أن اللغة تنظمها ضوابط عامة مطردة ، فصيغة الفاعل والمفعول وحالات الاعراب المختلفة وتصريف الافعال وغيرها أليست تسير وفقا لقاعدة عامة استنتجها من اللغة نفسها اولئك الذين دونوا نحو اللغة العربية وصرفها ، واذا كان ذلك ينطبق على اللغة في عصر من عصورها وطور من اطوارها ، أفليست الحال كذلك لو نظرنا اليها خلال العصور في انتقالها من طور إلى أطوار أخرى ؟ أليس هذا التبدل يجري وفقاً لسنة تسير عليها اللغة .؟ لقد تبدلت معاني كثير من الالفاظ خلال العصور فقد كانت الالفاظ (عقل ، وعي ، ادرك ، ورد)تفيد معنى (ربط ،استوعب، وبلغ ، قصد الماء) ولكنها انتقلت في عصر مبكر من هذه المعاني الحسية إلى معانيها المجردة المعروفة وكذلك انتقلت الالفاظ (انتاج استهلاك ، استيراد ، عاطفة ، منطق) من معانيها السابقة التي هي (ما تولد من الحيوان ، اتلاف الشيء ، طلب الماء ، اسم فاعل من عطف بمعنى لوى وثنى ، النطق والكلام) إلى معانيها المعروفة في هذا العصر . ألسنا نلاحظ ان هذا التبدل في معاني الالفاظ انما يكون

بالانتقال من المعـاني الحسية إلى المجردة ، ويكون بتعيم الخاص أو تخصيص العام .

ان التبدل قد لا يكون شاملاً لجميع عناصر اللغة فقد كانت بعض هذه العناصر أو الجزئيات ثابتة مدة طويلة ولكن ما يتبدل منها انما يتبدل تبعا لسنة مطردة قد تخفى أحيانا فتحتاج إلى بحث و تفتيش لاستخراجها .

لقد تطورت بعض الحروف العربية في بعض المناطق فتغيرت اصواتها فاصبحت القاف همزة في اللغة العامية في بعض البلاد و كذلك الثاء والذال والظاء فقد أصبحت تاء ودالا وضاداً الا في بعض الكلمات وقد كان هـذا التبدل عاما في جميع الكلمات التي اشتملت على هذه الحروف وكانت كذلك عامة لدى جميـع افراد المنطقة التي جرى فيها هذا التبدل كما هو واقع في مدن مصر والشام و بعض مدن الغرب .

ولو انتقلنا من اللغة الواحدة إلى اللغات المتقاربة التي يعتقد انها ترجع إلى اصل واحد والتي جمعت ابحاثها تحت عنوان واحد كاللغات السامية والهندية الاوربية والسلافية لوجدنا انفسنا كذلك امام قواعد وضوابط تنطبق على أفراد المجموعة الواحدة وان كانت هذه القوانين اقل من تلك التي تنطبق على لغة واحدة .

وأخيراً لا بد لنا من أن نتساءل عما إذا كان للغة بوجه عام قوانين تنطبق على جميع اللغات . وإذا كان بين البشر منطق مشترك وخصائص

مشتركة ، وكانت حياتهم الاجتماعية كذلك تسير في تطورها على سنن واحدة أو ليس من المعقول أن تكون كذلك لغاتهم خاضعة لقوانين واحدة . اننا نلاحظ صحة هذا القول في بعض عناصر اللغة فان تطور معاني الالفاظ من الحسيات إلى المجردات وانتقالها بطريق التعميم أو التخصيص أو المجاورة ينطبق على ما يظهر على جميع اللغات ، وان الامثلة التي اوردناها آنفاً يمكن أن نأتي بما يماثلها من اللغات الاخرى ولكن الواقع اننا لا نزال بعيدين في ابحاثنا اللغوية عن بلوغ المرحلة التي نرى فيها عدداً من القوانين التي تنطبق على اللغات عموما ولا تزال هذه القوانين محدودة قليلة وذلك لان الابحاث اللغوية بالنسبة إلى كل لغة وبالنسبة إلى كل مجموعة من اللغات المتقاربة لم تبلغ بعد حد النضج ولا تزال تحتاج إلى استمرار ومتابعة وان هذه الابحاث المستمرة في مجموع اللغات ستؤدي في اعتقادنا إلى استنتاج قوانين عامة يبنى عليها علم اللغة العام .

ان الوسائل السابقة من استقراء الحوادث والشواهد ومقارنة بعضها ببعض والنظر إلى الاطوار التي تمر بها اللغة تعين كلها على استنتاج القوانين العامة أو على الاقل تنير الاتجاه الذي تتجه نحوه اللغة سواء في ادائها وظيفتها في عصر معين أو تطورها خلال العصور المتعاقبة ، ولو لم نستطع ضبط هذا الاتجاه وحصره في قانون عام .

تسمية علم اللغة :

ان علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل اليه الامر في تطور البحث اللغوي نرى ان نطلق عليه أحد الاسمين (علم اللغة) أو (فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللغة. اما اسم (الفلسفة اللغوية) الذي اطلقه عليه بعض المؤلفين في هذا الموضوع من ابناء العصر المنصرم كجرجي زيدان الذي الف كتاباً عنونه بهذا الاسم فاننا نرى أنه لا يقابل المفهوم العلمي الحديث لادخاله في باب العلم مباحث هي إلى الفلسفة أقرب في حين أن سائر مباحث اللغة دخلت في طور البحث العلمي واخرج منها ما كان من قبيل البحث في فلسفة اللغة كالبحث في أصل نشوء اللغة . هذا واننا باستعمالنا هذه التسمية واطلاقنا على هذا العلم أحد الاسمين نكون قد جارينا قدماءنا الذين استعملوهما كليهما واصابوا اكل الاصابة في ذلك .

فوائد علم اللغة :

١) ان معرفة اللغة معرفة عميقة وتفهمها وتذوقها لا يكون بمعرفة جزئياتها ومفرداتها ولا بقواعدها المحدودة وانما يكون بالغوص إلى اعماقها ومعرفة قوانينها وسنن تطورها . وان فقه اللغة يكشف عن خصائص اللغة وينير تطورها وبذلك تفهم كثير من الجزئيات وتحل كثير من المشكلات .

٢) ان علم اللغة يكشف عن عقلية الامة التي تتكلم تلك اللغة ، كما يكشف عن جوانب من تاريخها ومدنيتها . ان الخاصة الاشتقاقية في اللغة العربية تعبر عن حيوية اللغة كما انها تعين على ارجاع كل كلمة إلى اصلها وردها إلى نسبها بحيث تعرف الالفاظ التي ترد إلى نسب واحدوتجمعها اسرة واحدة أو مادة واحدة وهذه المادة هي الحروف الاصلية الثلاثة أو الاثنان فلا تضيع انساب الالفاظ في العربية بل تحفظ كما تحفظ انساب الناس عند العرب خلافا للغات الاخرى التي قد يطرأ فيها على الالفاظ من التغير في اصواتها وفي صيغها وتأليفها ما يضيع معه اصلها .

ويمكننا ان نورد مثلا آخر من النحو العربي هو المفعول لاجله . ان علم اللغة يبحث في الصلة بين تركيب الكلام وقواعد النحو وعقلية الامة فالمفعول لاجله في اللغة العربية يعبر عن الدوافع النفسية فتقول فعلت هذا رغبة أو رهبة أو حبا أو انتقاما وتخصيص صيغة أو قرينة نحوية للدلالة على الدوافع النفسية من خصائص اللغة العربية .

وان الرجوع إلى المعاني الاصلية القديمة للالفاظ في لغة من اللغات تعطينا صورة عن البيئة الاولى التي عاش فيها اصحاب تلك اللغة كما تفيدنا دراسة تطور هذه المعاني في تفهم عقليتهم والوقوف على مفاهيمهم ومجرى تفكيرهم .

ولذلك كان علم اللغة كاشفاً تاريخيا للعادات والاخلاق والبيئات.

٣) ان معرفة خصائص اللغة وقوانينها وسنن تطورها يمكننا من اصلاحها ومراقبة تطورها والسير به في اتجاه صحيح يناسب خصائصها الاصلية ولا يعرضها الذوبان والانحلال فاللغة العربية واقعة الآن بين نزعتين إحداهما لاتبالي بخصائص اللغة فترى دخول الالفاظ والتعابير الاجنبية بلا قيد ولا شرط بل يصل الامر ببعض الشعوبيين الى الرغبة في تثبيت اللغة العامية يرمون بذلك الى القضاء على الفصحى والنزعة الاخرى ترى الاحتفاظ باللغة كما رويت عن القدماء دون تبديل في الألفاظ أو المعاني أو التعابير . ولا بد من الموازنة بين النزعتين والاشراف على سير التطور ليكون حاضر اللغة استمراراً لماضيها مراعيا لظروفها الحاضرة .



الاصوات اللغوية

ان بحث الحروف التي تتركب منها الكلمات في كل لغة من الناحية الصوتية يؤلف البحث الاول من مباحث فقه اللغة . وقد أفرد هذا البحث بمؤلفات ومؤسسات خاصة حتى غدا علما قائماً بذاته . والعرب هم أول من أفرد هذا الموضوع بالبحث وذلك لضبط القرآن ولذلك أطلقوا عليه اسم تجويد القرآن أو علم التجويد ، كما انهم تطرقوا لبحثه في بعض مباحث اللغة والصرف في تعليل بعض الصيغ والالفاظ كادغام تاء الافعال في بعض الافعال وذلك مثل الاضطراب والادعاء والادخار والاصطراع و ...) . وقد الف أبو الفتح عثمان بن جنى كتابا في الموضوع أسماه (سر صناعة الاعراب) بلغ فيه من الروعة والابداع حداً كبيراً كما الف ابن سينا رسالة عنوانها (اسباب حدوث الحروف) وقد تعرض علماء البلاغة لبعض المباحث الصوتية في بحث فصاحة الكلمة .

الجهاز الصوتي وحدوث الصوت :

ان الجهاز الصوتي في الانسان جهاز رائع لما فيه من مرونة عجيبة تمكن الانسان من اخراج عدد لا يحصى من الاصوات ولا يمكن

أن تشبهه من هـذه النـاحية آلة من الالات الصوتية . ويتألف هـذا الجهاز من الرئتين ، وهما منفاخ الهواء ، ومن القصبة الهوائية ، التي هي كالانبوب الصوتي ، والحبال الصوتيـة التي باهتزازهـا يحـدث الصوت ، ثم من تجويف الحلق أو الحنجرة ، ومن تجويف الفم والخياشيم ، وهي كلها أشبه بانتفاخات أو أجواف تلي الانبوب الصوتي تفصل بينها حواجز متحركة هي اللهاة واللسان ، وينتهي الجهـاز بالشفتين . وهـذا الجهاز ليس جامـداً على هيئة واحـدة بل فيه مرونة تجعله يتغير تغيرا كبيرا من جهة سعة التجاويف أو ضيقهـا وشدة اهتزاز الحبال الصوتيـة أو ضعفه (راجع سر صناعة الاعراب لابن جنى ج ١ ص ٩)

يحـدث الصوت باندفاع الهواء من الرئتين ومروره بالقصبتين وتحريكه الحبال الـتي يحدث الصوت باهتزازها وتكسبه ، بحسب استمرار الاهتزاز وسعته وقوته ، صفات الاستمرار والارتفـاع والشدة ؛ ثم يمر الهواء بتجويف الحلق ثم بتجويف الفم وقد يمر من الخياشم أو لا يمر . واذا ما مر الهواء في هـذه الاقسام فاما ان يترك له مجال المرور دون أن يتعرضه شيء واما ان يسد الطريق امامه باحد الحواجز التي هي اللهاة واللسان والشفتان باوضاع كثيرة تحدث اصواتا مختلفة متنوعة وهذا هو السبب في اختلاف مخارج الحروف واليك تفصيل ذلك :

مخارج الحروف :

١) فاذا مر الهواء دون أن يعترضه عائق حدثت حروف المد وهي كثيرة متنوعة وينشأ هذا التنوع من الاوضاع المختلفة التي يمكن أن يكون عليها الجهاز الصوتي أثناء اخراج الهواء ، من تضييق التجاويف أو توسيعها ، ومن أوضاع الشفتين والعضلات المتصلة بها ، وحسب اطالة الصوت أو تقصيره . ففي اللغة العربية ستة مدود ثلاثة منها طويلة هي الـ (ا ، و ، ي) وثلاثة قصيرة هي الـ (َ ، ُ ، ِ) [1] وفي اللهجات العربية القديمة أنواع اخرى كالالف الممالة أو التي فيها اشمام بضم مما نلاحظه في القراءات التي لاتزال محفوظة عند قراء القرآن . وكذلك في اللهجات العامية أنواع اخرى وفي اللغات الاجنبية كالفرنسية والانكليزية أنواع مختلفة من حروف المد . وتسمى كذلك بالجوفية أو الهوائية .

وأما اذا اعترض الهواء الخارج من الرئتين والصوت الحادث

---

(١) يرى ابن جني ونحن على رأيه ان حروف المد والحركات في العربية من جنس واحد ولكنها تختلف في مقدار مد الصوت . قال في (سر صناعة الاعراب) : « اعلم ان الحركات ابعاض حروف المد واللين وهي الالف والياء والواو ... وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة . ج ١ ص ١٩ و ٢٦

منه باهتزاز الحبال الصوتية عائق فانه تحدث أنواع اخرى من الاصوات (الحروف) .

وللصوت مراحل ثلاث يمر بها أولها مرور الهواء وانحباسه في موضع الحاجز . وثانيها استمرار انغلاق الحاجز مدة من الزمن . وثالثها انطلاق الهواء . فاذا تصورنا نطق حرف الكاف مثلا وتأملنا في حدوثه نرى أن الهواء يندفع من الجوف الى أن يقف في موضع في أعلى الحنك وبعد انحباسه قليلا ينطلق الهواء ويفتح أمامه الطريق .

فالموضع الذي يكون فيه انحباس الهواء وحجزه عن المرور كليا أو جزئيا باحد الحواجز الموجودة في الحلق اوالفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين يسمى مخرج الحرف .

٢) واذا وزعنا الحروف حسب مخارجها وجدنا أقربها الى الجوف وأولها الحروف التي يكون مخرجها من الحلق وهي في اللغة العربية : (أ ، ه ، ع ، ح ، غ ، خ)

ولذلك تسمى بالحروف الحلقية وهذه الحروف مفقودة في بعض اللغات وبعضها موجود في بعض اللغات كالخاء في الالمانية والهمزة في الفرنسية والانكليزية مع ملاحظة أنها مخففة لا شدة في الاعتماد على مخرجها . ويلي هذه الحروف بحسب ترتيب مخارجها . ابتداء من الحلق حتى الشفتين :

٣) **الحروف اللهوية** وهي الـ (ق ، ك) ، سميت بذلك لخروجها من قرب اللهاة .

٤) **والحروف الشجرية** وهي الـ (ج ، ش ، ي)[1] سميت بذلك لخروجها من شجر الفم أي منفتحه .

٥) والحروف التي تخرج من **حافة اللسان** الـ (ض) .

٦) **والحروف الذلقية** (ل ، ن ، ر) لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه .

والحروف النطعية (ط ، د ، ت) ، لمجاورة مخرجها من نطع الفم وهو غار الحنك الأعلى .

٨) **والحروف الأسلية** (ص ، ز ، س) لخروجها من اسلة اللسان وهي مستدقه .

٩) **والحروف اللثوية** (ظ ، ذ ، ث) لخروجها من قرب اللثة وفي هذه التسمية تجوز .

١٠) **والحروف الشفوية** (ف ، و ، ب ، م) . وزاد بعضهم الخيشوم فجعله مخرجاً للميم والنون المشددتين في حال الادغام والاخفاء . وأرى أن الخيشوم ليس مخرجاً من مخارج الحروف ولكن الهواء يخرج منه في الحروف التي تلحقها الغنة بدليل انك اذا سددت

---

(١) هذه الياء هي الساكنة المسبوقة بفتح كالياء التي في بيت وعين وهي تختلف في مخرجها وصفاتها عن ياء المد

أنفك في حال النطق بهذه الحروف التي تتصف بالغنة أفسدت جرس ذلك الحرف وليس معنى ذلك ان مخرج الحرف من الخياشيم[1] .

وقد زاد ابن جني على الحروف التسعة والعشرين حروفاً فرعية هي النون الخفيفة أو الخفية والهمزة المخففة[2] وألف التفخيم (سلام ، الصلوة ، الحيوة) وألف الامالة (عالم ، خاتم) والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي (قصد ، مصدر) وهذه الستة اعتبرها مستحسنة وألحق بها ثمانية غير مستحسنة[3] ونلاحظ ان في بعض اللهجات العربية القديمة حروفاً زائدة على الحروف المعروفة كالكاف المقاربة للشين في لغة ربيعة وغيرها كما ان في اللهجات العربية العامية في مختلف البلاد العربية حروفاً خاصة وأنواعاً من المدود والحركات تختلف عن الحروف والحركات المعروفة في الفصحى وقد حفظت القراءات القرآنية التي دونت ورويت كثيراً من هذه الحروف والحركات المندثرة .

صفات الحروف وأقسامها :

١) ان انحباس الهواء حين حدوث الحرف قد يكون تاماً بحيث يمتنع خروجه حين الاعتماد على مخرج الحرف ولا يكون النطق

---

(١) انظر بحث مخارج الحروف عند ابن جني في سرّ صناعة الاعراب ص ٥٢

(٢) كالهمزة الثانية من قوله تعالى (أأعجمي وعربي) كما يلفظها القراء

(٣) ابن جنى ص : ٥١

بالحرف تاماً إلا بازالة هذا الاعتماد وترك الهواء ينطلق بعد انحباسه . وقد يكون هذا الانحباس ناقصاً بحيث يخرج الهواء مع وجود الاعتماد على مخرج الحرف ، ويسمع صوت الحرف مع خروج الهواء في آن واحد .

فالحروف التي هي من النوع الاول تسمى **الحروف المجهورة** ، ويسمى النوع الثاني من **الحروف المهموسة** ، وأما حروف المد فلا يكون فيها اعتماد على مخرج مطلقاً .

وقد عرف قدماؤنا الحروف المجهورة بأنها التي أشبع الاعتماد في موضعها ومنع النفس أن يجري معها حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت وهي : أ ، ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ق ، ل ، م ، ن ، و ، ي[1] .

وأما المهموسة فهي التي ضعف الاعتماد على مخرجها حتى جرى النفس معها ، وقد جمعت في قولك (فحثه شخص سكت) .

وهذا التقسيم موجود عند الغربيين ممن ألفوا في هذا العصر ، وهم

---

(١) هذا ماورد في تعريف الجهر في كتاب سر صناعة الاعراب لابن جني وفي سائر كتب المتأخرين من علماء العربية كالشيخ طاهر الجزائري في رسالته تدريب اللسان على تجويد البيان وأرى ان تعريفهم هذا غير مطابق لجميع الحروف التي وصفوها بالجهر كما ان تعريف الهمس غير منطبق على الكاف والتاء الا اذا نطقناهما بكثير من الهمس فاخرجناهما عن النطق المألوف .

يسمون النوع الاول بالفرنسية (Occlusives) ومعناها المغلقة والثاني (Spirantes) ومعناها النافخة أو ذات النفس وقد يسمونها المستمرة (Continues) والمصطكة (Fricatives) وهي تقابل المجهورة والمهموسة حسب التعاريف التي أوردها مؤلفونا القدماء .

٢ — وتقسم الحروف كذلك الى شديدة ورخوة ومتوسطة . فالشديدة هي التي يمتنع الصوت أن يجري معها مثل القاف والطاء فلا يمكنك أن تمد صوتك فيها في قولك الحق والشط مثلا . وهذه الحروف هي : أ ، ق ، ك ، ج ، ط ، د ، ت ، ب . ويجمعها قولك « أجدك طبقت » والرخوة هي التي يجري فيها الصوت كالسين والشين والحاء في المس والرش والشح . والمتوسطة بين الشديدة والرخوة ويجمعها قولك (لم يروعنا) . ويبدو أن بين التقسيمين السابقين تداخلاً والتباساً . وقد قالوا ان الفرق بينهما أن المجهورة تمنع النفس والشديدة تمنع الصوت ولكن هذا التفريق غير واضح وضوحاً تاماً [1] .

وللغربيين تقسيم آخر للحروف فالحروف التي تهتز ، حين اخراجها ، الحبال الصوتية تسمى حروفاً صائتة (Sonores) وعلامتها أن تشعر بهذا الاهتزاز اذا سددت اذنيك ونطقت بها . والحروف التي لاتهتز

---

(١) اقرأ في موضوع الفرق بين الجهر والشدة وبين الهمس والرخاوة تعاريف ابن جنى ص ٦٩ وما كتبه الشيخ طاهر الجزائري في رسالة تدريب اللسان ص ١٩ ولست تجد فيها مايشفي الغليل .

الحبال الصوتية حين اخراجها تسمى صامتة (Sourdes) ومثال الاولى ال (ب ، د ، ذ ، ج ، ف ، ق) ومثال الثانية ال (ف ، ت ، س ، ك ، ش ، ب) .

٣) ومن صفات بعض الحروف الاستعلاء وهو التصعد في الحنك الأعلى . والحروف المتصفة بالاستعلاء هي : (خ ، ص ، ض ، ط ، ظ ، غ ، ق) .

٤) ومن صفات الحروف القلقلة : (ق ، ط ، ب ، ج ، د) والذلاقة : (ب ، ر ، ف ، ل ، م ، ن) والتكرار : (ر) والتفشي : (ش) والصفير : (ص ، س ، ز) .

٥) ومنها الغنة . وهي في العربية من صفات الميم والنون في أكثر أحوالها ولكنها قد تعتري حروفاً أخرى في بعض اللغات فان جميع الحروف يمكن أن تلفظ بغنة وذلك اذا اخرج النفس من الأنف حين التلفظ بها .

٦) ومن صفات الحروف اللين وهي صفة الواو والياء الساكنتين في نحو بيت وخوف وهما في هذه الحالة متوسطتان بين حروف المد الهوائية أعني ال (ا ، و ، ى) والحروف الاخرى المعتمدة على مخارجها .

التبدلات الصوتية

ان لكل لغة مجموعة صوتية تتألف من مجموع حروفها الصوتية التي تزيد غالباً على حروفها الهجائية وبين هذه الحروف التي تتألف منها المجموعة الصوتية في لغة من اللغات انسجام يقيم بينها توازناً يؤدي الاخلال ببعض اجزائه الى التغيرات التي تعيد التوازن والانسجام .

ومما يلاحظ ان هذه الاصوات او الحروف في كل لغة ليست ثابتة فقد تتغير بمرور الزمن او لوقوعها في وضع خاص في حالة التركيب. فان بعض اللغات يتغير عدد حروفها ويتبدل لفظ الكثير من كلماتها . فالحروف اللثوية مثلا في اللغة العربية (ث ، ذ ، ظ) انتهى بها الامر الى الزوال في كثير من اللهجات العربية العامية وابدلت غالباً بالتاء والدال والضاد او الزاي المفخمة . وكذلك حال الجيم التي اصابها بعض التغيير في بعض اللهجات العربية ولو نظرنا الى حرف السين في اللغة الفصحى لوجدناه اشبه بالصاد في بعض المواطن نحو (اسطورة، ومسيطر وسلطان) .

وكذلك حال اللغات الاخرى ففي اللغة الفرنسية مثلا كانت تلفظ الشين في Cheval كافا والشين في Chien سينا وتاء مدغمتين مهموستين

والاصل اللاتيني لكلمتي échelle,école هو Schola و Scala .

ان هذه التبدلات جديرة بان تبحث وان يفتش عن عللها واسبابها وان يلاحظ ويستنتج القانون الذي ينظم حوادثها ان كان لها قانون مطرد .

ولهذا البحث فائدة كبيرة في علم اللغة فان معرفة علل تبدل الحروف واصولها القديمة مفتاح من مفاتيح علم الاشتقاق فانه هو الذي يكشف الصلة بين كلمات تباعدت اشكالها وضاعت معالم قرباها ، سواء اكانت في لغة واحدة ام في لغات مختلفة . فان معرفة قوانين الابدال هي التي تكشف لنا الصلة بين (ضرب واضطراب) و (غبن وجبن) و (غفر وكفر) و (اود ومناد) ويرينا ما بين هذه الالفاظ الفرنسية من نسب وقربى (Autre,Altruisme) و (Cavalier,Cheval) و (Scolastique,école,Scolaire) وما بين (Farine) الفرنسية و (harina) الاسبانية .

عوامل التبدل واسبابه :

ولنبدأ بذكر اسباب هذا التبدل والعوامل المؤثرة فيه :

١) فمن ذلك انتقال اللغة من جيل الى جيل عن طريق التلقين والتعلم فان الاطفال يتلقون اللغة عن آبائهم محاولين تقليدهم بالتدريج خلال المدة التي يكتسب فيها الطفل اللغة لكن هذه المحاولة كثيراً

ما تكون غير ناجحة ويكون التقليد ناقصاً ولو قليلا فان اقل تغيير يحدث في تلفظ الحروف من تخفيف او تشديد او تقديم في المخرج او تأخير يؤدي الى تغيير هذه الحروف فاذا عم هذا التبديل في جيل من الاجيال واضيف الى ما يمكن ان يحدث بعده في الاجيال التالية من تبديل نَجَمَ عن ذلك تبدل في لفظ الحرف او الحروف المتبدلة بمرور الزمن الطويل .

ان خطأ المؤلفين انهم اعتبروا هذا النوع من التبديل حتميا واستنتجوا من ذلك ان حصول التبديل في اللغة حتمي لا مناص منه والحقيقة تخالف هذه النتيجة فليس هـذا الافتراض الذي افترضوه محتوماً ولا ضرورياً بل قد يوجد من الاسباب ما يحول دون هذا التبديل او يخفف تأثيره كالكتابة والتلقين في المدارس اللذين عزا اليهما الاستاذ فاندريس بقاء حرف الراء في اللغة الفرنسية ، وقد كان القرآن الكريم والحض على ضبط حروفه والدقة في تلفظها سبباً في بقاء الاصوات العربية في اللغة الفصحى ثابتة في حين انها نفسها قد تبدلت في لغة الكلام اي في اللهجة العامية في اللغة نفسها . وعلى هـذا فان ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطوراً مطرداً مردود اذ لا برهان له عليه .

٢) ومن اسباب التبدل التأثر باصوات لغه اخرى ، فقد تتصل لغة باخرى عن طريق الغزو الثقافي او الفتوح فيتعلم اهل البلاد فينطقون

اللغة الجديدة محتفظين بخصائص لغتهم الصوتية وهذا ما حدث للغة العربية حين دخولها العراق حيث تأثرت بالنطق الفارسي والشام حيث تأثرت بالسريانية . وكذلك شأن اللاتينية في فرنسا واسبانيا . ومن هذا الباب دخول بعض الحروف العربية في لغة الاوردو وفي اللغة التركية . وهذا ما يحدث حين انتقال لفظ من لغة الى اخرى كما وقع في الالفاظ المعربة التي بدل العرب حروفها واصواتها كالاقليد(Cleda) والفالوذج (بالوده) .

٣) ومن ذلك اسباب اجتماعية مختلفة من دينية وقومية فان الرغبة في العودة الى الفصحى في البلاد العربية في العصر الحاضر هي التي عادت ببعض الحروف من الشكل الذي آلت اليه (كالهمزة بدل القاف في كثير من المدن العربية والثاء والذال والظاء في لفظها العامي) الى نطقها القديم الفصيح . وكذلك كان القرآن سببا في بقاء اللفظ القديم للحروف في البيئات العلمية واحيانا في البيئات العامة .

وبهذا يعلل دخول بعض الحروف العربية في اللغة التركية والاردية بسبب ديني .

ومن الاسباب ما هو صوتي لا دخل للعلل الخارجية فيه وذلك كتفخيم بعض الحروف اذا وقعت في حال تركيبها موقعاً يستوجب ذلك كاخفاء النون وادغامها وتفخيم الراء ولفظ السين صادا في بعض المواطن من الكلام .

ومثل ذلك نطق الدال في الفرنسية مرققة في قولهم (de la maisou) ومفخمة في قولهم (dans la maison) .

ونضيف الى ما ذكرناه من العلل والاسباب انه لا عبرة بالتبدل اذا حدث في حادثة فردية خاصة كأن يكون ناشئاً عن علة في نطق واحد من الناس أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو (الانتقاص) ، وانما العبرة للتبدل الذي يكون عاما في مجموعة من الناس كسكان بلد أو مدينة أو اقليم أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الاجيال في عصر من عصور اللغة فيستدل من عمومه في جيل أو جماعة على أن له سبباً عاما وان في الناس استعداداً لمثل هذا التبديل لسبب من الاسباب .

قوانين التبدل الصوتي

اننا اذا نظرنا في الاصوات أو الحروف في كل لغة نجدها معرضة للتبدل الطارىء في بعض الاحوال لانقلاب النون الساكنة قبل الباء ميماً في التلفظ في اللغة العربية وادغامها فيما بعدها اذا كانت ساكنة وكان ما بعدها أحد الحروف الستة (يرملون) أو للتبدل المستمر الذي أدى الى ابدال صوت بصوت آخر كابدال القاف العربية في اللهجة العامة في بعض المناطق همزة والثاء تاء والذال دالاً ومثل هذا ما حدث في اللاتينية التي تبدل كثير من حروفها في تطورها في اللغة الفرنسية والاسبانية والايطالية .

فهل تخضع هـذه التبدلات في وقوعها الى قوانين تنظمهـا وهل هذه القوانين اذا كانت موجودة كالقوانين المعروفة في علم الطبيعة؟ وهل هي خاصة في كل لغـة أم يمكن أن تعم مجموعة من اللغات وهل منها ما يعم اللغات جميعها؟ ...

أننا اذا استقرينا حوادث التبدل الصوتي في لغة من اللغات نجدها في اتجاه واضح ولو بعض الوضوح ونجدها تسير وفقاً لقانون عـام ولو انـ له استثناءات . أو ليس التبدل الذي طرأ على بعض حروف الفصحى في اللهجـات العربية العاميـة عاماً بالنسبة الى تلك الحروف شاملاً لقطر أو بلد أو لعدة أقطار؟

أو ليس التبدل الذي يطرأ على بعض الحروف في بعض أحوالها التركيبية في اللغة العربية وكذلك في غيرهـا عاماً يقع كلما وقعت تلك الحالة المعينة كانقلاب النون الساكنة ميماً أو ادغامها أو تفخيم الراء وكتبدل الشين « Ch » في الفرنسية في أوائل كثير من الالفاظ أصلها كاف في اللاتينية :

champ = campum , chambre = camere , chair = carnom
chataigne = castanea , chat = cattum , chant = cantum
cheval = caballum , chemise = camisia , chaux = calcem

أو لم يطرأ على حرف الراء « r » في اللغة الانـكليزية من التخفيف بل الحذف ما يكاد يجعل هذا التبدل عاماً جميع الفاظ اللغة الانكليزية ولا سيما حين تقع الراء في حشو الـكلمة أو آخرها . ان أمثلة كثيرة

في جميع اللغات تدل دلالة واضحة على أن ما يجري فيها من التبدلات الصوتية انما يجري تبعا لنظام يمكن اكتشافه ومعرفة صيغته بعد الاستقراء والبحث .

وان وجود هذا النظام أظهر للباحث في اللغة الواحدة وهو كذلك ظاهر ظهوراً دون ذلك في اللغات المتقاربة والتي ترجع الى أصل واحد ولئن كان أخفى وأدق اذا انتقلت الى دائرة اللغات بوجه عام فان تشابه بعض حوادث التبدلات الصوتية في كثير من اللغات المتباعدة التي لا يصل بينها أصل مشترك قرينة دالة ومثال ذلك ما رأيناه في اللغة الفرنسية من تبديل الكاف شيناً فان مثل هذا التبدل قد حدث قديماً في اللغة العربية في بعض لهجاتها وكذلك نلاحظ أن إبدال الجيم ياء جرى في عدد من اللغات .

ولكن قوانين التبدل الصوتي حين نجدها ونستخرجها ليست في عمومها واطرادها كالقوانين الطبيعية التي تنطبق على المادة. ذلك انها ليست متولدة عن طبيعة الاشياء بالضرورة وانما هي في أكثر أحوالها نتيجة اتفاقات ومصادفات ليس من الممكن التنبّوء عن وقوعها . فهجرة قبيلة من بلد الى بلد ودخول لغة على أخرى في حوادث هجرة اقتصادية أو حرب تسبب تبدلاً في اصوات اللغة ولو أن تلك الهجرة لم تحدث او ان تلك الهجرة لم تحدث أو أن التقاء تينك اللغتين لم يقع او وقع ولكن بالالتقاء بلغة اخرى لكانت النتائج مختلفة وهذه

حوادث تاريخية لا يمكن ضبطها بقانون . ان المهم معرفة الملابسات والشروط التي تتم فيها التبدلات الصوتية كتحديد الزمان والمكان فقد بحث التبدل في منطقة من مناطق اللغة لا فيها كلها فتبدل القاف في الفصحى همزة في بعض اللهجات العامية ليس عاما بل خاصا ببعض البلدان دون بعض ومثل ذلك لفظ الراء والنون في اللغة الفرنسية في مناطق فرنسا الشمالية والجنوبية[1] .

وقد يكون التبدل واقعاً في عصر دون عصر وفي جيل دون جيل فان كثيراً من الاحرف العربية ولا سيا في بعض البيئات في هذا العصر عادت الى لفظها القديم الفصيح كالقاف ومثل ذلك نطق الحرف الاول من كلمة « Cheval » في الفرنسية فقد كانت تنطق في عصر سابق كافاً . ان الرابطة بين الحرفين او الصوتين المبدل والمبدل منه ليست رابطة تقتضيها طبيعة الاشياء حتى يكون هذا التبدل حتميا لا مناص منه وانما هي رابطة ظروف لا بد من دراستها في جزئياتها وخصوصها فلا يمكن التنبؤ بها سلفاً .

---

(١) يمكن رسم المخطط الجغرافي لكل بلد أو لكل لغة بحسب حروفها واصواتها وتكون الحدود في هذا المخطط مختلفة عن الحدود السياسية والادارية فتجعل المناطق التي يكون لها لفظ واحد للحروف وحدة تفصلها حدود مرسومة عن المناطق التي يكون لها لفظ آخر وبعد هذا التحديد يمكن أن يبحث عن عوامل الوحدة أو الاختلاف كوحدة الاصل بسبب الهجرة أوغيرها أو اختلاف اللغة السابقة التي حلت محلها اللغة السائدة أو وحدتها أو غير ذلك من الاسباب.

ومن الواجب التمييز بين التبدل الناشيء عن اسباب صوتية خالصة والناشيء عن تطور لتلفظ الحرف من عصر الى آخر والتبدل الناجم عن سبب خارجي كالدين او الاقتباس من لغة اخرى او التقليد لبيئة غير بيئة المتكلم كالتفاصح في بعض البيئات العامية الذي قد يؤدي الى بعض التبدلات الغريبة المضحكة احياناً .

ومما يلاحظ في قوانين تبدل الاصوات انها لا تخلو من استثناءات خلافا للقوانين الطبيعية فكل ذال في الفصحى قلبت دالاً في عامية بعض المناطق العربية (كالذباب والذّره والذراع والأذن) ولكنها قلبت زايا في (ذنب وذم وإذن .) وكل ثاء الى تاء نحو (ثوب وثلج وثوم وثور) ولكنها قلبت الى سين في (ثواب ، واثم وثورة)[1] ومثل ذلك الكاف في اللغة اللاتينية فانها قلبت في كثير من الكلمات في الفرنسية الى (ch) ولكنها كذلك لم تقلب فيها جميعا .

هذا وان ما يحدث من تبدل صوتي في حروف لغة من اللغات يكون بطيئاً فتمضي القرون الطويلة حتى يحدث مثل هذا التبدل وقد يكون سريعاً فلا يمضي قرن او اقل حتى تقع في اصوات اللغات

---

(١) ان هذا الاستثناء ناشيء عن ان الكلمات التي يتردد نطقها الفصيح على الالسنة كثيراً لسبب ما كتكررها في قراءة القرآن أو في المواعظ أو المحاكم لو لكونها تستعمل في الطبقة المتعلمة لا يتشوه نطقها كثيراً ويبقى لفظها قريباً من اللفظ الفصيح .

بعض التبدلات وهذا يختلف من لغة الى اخرى فالعربية الفصحى لم تتبدل اصواتها منذ خمسة عشر قرناً او تزيد في حين ان اللغة الفرنسية تبدلت اصواتها منذ القرن الثاني عشر حتى العصر الحاضر في عدة فترات .

وان التطور الصوتي ليس متجهاً دوماً نحو اليسر والسهولة او نحو الكمال كما قد يتوهم بعض الناس بل قد يحدث عكس ذلك .

وعلى هذا فان كل لغةمن اللغات تجتمع فيها عوامل مختلفة وظروف خاصة تسبب تبدل بعض اصواتها في بعض العصور والامكنة والاحوال وتنشأ عنها آثار متنوعة في مجال الاصوات يحتاج البحث فيها وفي اسبابها وقوانينها الى كثير من الدقة في البحث والتعليل .وان من العسير حالياً الوصول الى قوانين في التبدلات الصوتية تعم جميع اللغات وان كان ذلك ليس مستحيلاً وهذا ناشيء عن عدم استكمال البحث في هذا الموضوع الذي يقتضي اولاً استقراء التبدلات الصوتية في كل لغة وحصرها في ضوابط او قوانين عامة والانتقال بعدئذ لجمع هذه النتائج واستخراج الضوابط والقوانين العامة في كل اللغات .

انواع التبدل الصوتي ومظاهره وقوانينه :

لقد قسمنا حوادث التبدل الصوتي في اول البحث الى نوعين :
احدهما ما ينشأ عن تفاعل الاصوات وتأثير بعضها في بعض اثناء

التركيب وهو امر واقع في جميع اللغات . وثانيها ما ينشأ بنتيجة تطور زمني يؤدي الى ابدال حرف بآخر .

وقد احصى القدامى من مؤلفينا ضوابط النوع الاول من التبدل في كتب الصرف وفي كتب التجويد ويمكننا ان نسرد البارز منها فيما يلي :

١) ابدال حرف بآخر كانقلاب النون الساكنة ميما اذا وليها باء وابدال تاء الافتعال الى حرف من جنس فاء الكلمة اذا كان هذا الحرف دالاً او طاءً (ادعى ، اطرد) او قلبها الى طاء مع الضاد والصاد (الاضطراب ، الاصطراع) .

٢) تغيير صفات الحروف كتفخيم الراء المفتوحة والمضمومة والساكنة الواقعة بعد ضم او فتح وترقيق ما سواها واعلاء السين حتى تصبح كالصاد نحو (بسطة ومسيطر) وما يعتري النون من ادغام اذا وقعت ساكنة وبعدها احد حروف (يرملون) وانقلابها الى ميم اذا وليها باء مثل (من باع وينبع ومنبوذ) واظهارها قبل حروف الحلق واخفاءها قبل بقية الحروف .

٣) وقد يقع التبدل في حال انتقال كلمة من لغة فانها لا بد ان تنسجم مع المجموعة الصوتية للغة المنقول اليها فالكلمات التي عربت تبدلت احياناً بعض حروفها كالفردوس (Paradis) والفالوذج من (بالوده) .

وأما التطور الصوتي فلم يحدث في اللغة العربية الفصحى منذ أمد طويل على الاقل فإن القرآن حفظ لنا أصوات الحروف كما لفظها العرب ونقل إلينا ما كان قبل عصره من أصوات اللغة العربية وعن طريقه حفظت حتى يومنا هذا ذلك أن القرآن إنما انتقل بالمشافهة وأخذ بالتلقي الدقيق جيلاً بعد جيل .

وإنما طرأ التطور على لغة المحادثة التي تشعبت لهجات عديدة عن اللغة الفصحى فتبدلت بعض أصوات الفصحى من حروف ومدود وحركات كتبدل القاف والثاء والذال والظاء والجيم في مناطق مختلفة من البلاد العربية إلى أصوات تختلف باختلاف المناطق .

ويدخل في باب التبدلات الصوتية في اللغة العربية ظاهرتان لغويتان هما الابدال والقلب وقد بحثنا قديماً في باب الاشتقاق وجعلا نوعين من أنواعه .

أما **الابدال** فهو إقامة حرف مكان حرف في بعض الكلمات مع بقاء الحروف الاخرى فتكون هذه الكلمات مشتركة في حرفين مثلاً وأبدل الحرف الثالث في إحداها بحرف آخر قريب في المخرج وقد يكون بعيداً ومن أمثلة ذلك (مت ومد ومط ـ وغبن وخبن وقسم وقصم ـ ووسم ووصم ووشم ـ وتاب وثاب ـ وقدّ وقط ـ وأز وهز ـ وخرق وخرب وخرم) . وأمثالها كثيرة .

وأصل هذا التعدد في الكلمة الواحدة قد يكون ناشئاً عن مراحل

صوتية مرت بها الكلمة وتبدل الحرف المتغير خلال الزمن في هذه المراحل وقد يكون ناشئاً عن تعدد القبائل واختلافها في أصوات الحروف ثم اجتماعها كلها في اللغة بتداخل لغات القبائل واجتماعها في لغة واحدة .

قال ابو الطيب اللغوي : « ليس المراد بالابدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لايختلف إلا في حرف » .

ولكن كلام أبي الطيب ليس حلاً للمشكلة ولايمنع أن تكون إحدى اللغتين هي الاصل وأن الاخرى نشأت عنها بالابدال أو أن تكونا متولدتين عن لغة مشتركة تفرعت بالابدال الصوتي إلى لغتين .

إن اعتبار التبدل الصوتي يعلل لنا كثيراً من حوادث الابدال ويكشف لنا عن أصول كثير من الكلمات ويرفع الستار عما بينها من روابط قديمة ويوسع دائرة الاشتقاق إذ يجعلها تتسع لالفاظ تختلف في بعض حروفها بسبب ما وقع فيها من تبدل صوتي في تاريخ حياتها وهي في الاصل ترجع إلى لفظ واحد فما لاشك فيه أن وسم ووصم ووشم في الاصل كلمة واحدة ثم تفرعت إلى ثلاث بابدال أحد حروفها وتنويعه ومثلها في اللغة العربية كثير . كما أنه يربط كذلك بين الالفاظ المتشابهة في اللغات السامية المتفقة في بعض حروفها والمختلفة في بعضها الآخر بسبب ماوقع فيها من تبدل صوتي .

أما القلب فليس من باب التبدلات الصوتية التى تقع على الاصوات اللغوية أي الحروف وإنما هو تبدل صوتي يقع على الكلمة بابدال مواقع الاصوات أو الحروف فيها مثل يئس وأيس وجذب وجبذ وهو أقل من الابدال عدداً وأندر وقوعاً وأقل شأناً في مباحث اللغة .

❀ ❀ ❀

مراجع البحث

كتب التجويد

تدريب اللسان في تجويد البيان للشيخ طاهر الجوائري طبع بيروت ١٣٢١ هـ.

سر صناعة الاعراب لأبي الفتح عثمان بن جنى . مصر ١٩٥٤ م

سر الليال في القلب والابدال لاحمد فارس الشدياق .

المزهر للسيوطي

الاشتقاق

لقد درسنا في الفصل السابق الحروف المفردة أو الاصوات التي تتألف منها ألفاظ اللغة وننتقل في هذا الفصل إلى دراسة الاصوات المركبة في كلمات أو ألفاظ وهي الوحدات التي تتألف منها اللغة فإن الاصوات المفردة ليست إلا العناصر التي تتألف منها الوحدات اللغوية وليس لها في ذاتها حياة مستقلة وإنما تدرس على أنها أجزاء تلك المفردات اللغوية . أما تاريخ تكون هذه المفردات من الاصوات والطريق الذي سلكته الاصوات خلال عصور التاريخ حتى كانت كلمات ذات دلالة والبحث عن الاصل هل هو الاصوات المركبة أعني الكلمات أم الحروف والاصوات المفردة فموضوع نرجح إرجاءه إلى ما بعد البحث في الاشتقاق وأن نبحث المفردات اللغوية كما تقدمها لنا اللغة أولاً لنسير بعد ذلك صعداً في البحث عن منشئها وتاريخها ومراحل تطورها الذي أدى بها إلى الحالة التي نجدها عليها بعد أن استقر أمر اللغة أي أننا لانرى سلوك الطريق ابتداء من الحروف المفردة فنحصي احتمالات تركيبها إحصاء رياضياً كما فعل الخليل بن أحمد في معجمه (العين) لنبحث بعد ذلك في الكلمات المستعملة ونترك التي أهملتها

اللغة فإن سلوك هذه الطريق مبني على قبول سابق للنظرية القائلة بأن الحرف المفرد أسبق في الوجود من الكلمة المركبة وهي نظرية غير مسلم بها .

إن مجموع كلمات لغة من اللغات الحية ليس مجموع الاحتمالات الرياضية الممكنة التي تنشأ عن تركيب الاصوات المفردة أو الحروف وليست كلمات اللغة مفردات منعزلة مستقل بعضها عن بعض فإن اللغات الحية تقدم لنا مفرداتها مصتفة في مجموعات يرتبط أفراد كل مجموعة منها بعضها ببعض برباط من القربى والنسب سواء في مبناها أو في معناها وإن كان هذا القدر المشترك بين أفراد المجموعة الواحدة يختلف من لغة إلى لغة في مقداره ووضوحه وظهوره فيختلف بحسب ذلك الرباطُ الذي يكون بينها قوة وضعفاً .

فألفاظ اللغة العربية تتجمع في مجموعات كل مجموعة منها تشترك مفرداتها في حروف ثلاثة وتشترك في معنى عام ثم تنفرد كل كلمة في المجموعة وتتميز من قريباتها في النسب بصيغتها أو مبناها وتختلف في معنى خاص بها ناشيء عن صيغتها أو عنها وعن غيرها من الملابسات التي اكسبتها حياة خاصة فلكل كلمة حياة وتاريخ وقد تبتعد قليلاً أو كثيراً عن المعنى الاصلي الذي يظل شبحه مخيما بظله عليها . ولكنها مهما ابتعدت في معناها وفي حياتها وتاريخها تحمل طابع نسبها في الحروف الثلاثة التي تدور معها أنى دارت . وهذه مزية في اللغة العربية ليست

لغيرها من اللغات ذلك أن الالفاظ في اللغات الاخرى يعتريها من التبدل ما يمحو أصلها ويخفي معالمه .

فلو نظرنا في مادة (حدق) وما تفرع عنها من كلمات (أحدق - حديقة - حدقة العين) لوجدناها تتضمن كلها معنى الاحاطة والالفاظ المشتقة من مادة (ج ن ن) تتضمن معنى الاستتار ومنها (المجن والجُنة والجنون والجن والجنَة) والالفاظ المشتقة من مادة (ش ر ك) كالشرك والشركة والاشتراك تتضمن معنى التعدد والمشاركة .

ولو نظر الفرنسي إلى كلمتي canine و chien لما وجد مايدل على انهما من أصل واحد وكذلك capitaine و chef مع أنهما يرجعان الى كلمة caput اللاتينية ومعناها الرأس ومثل هذه الامثلة كثير جداً في لغتهم.

ويمكننا أن نقول أن الالفاظ العربية كالعرب انفسهم تتجمع في قبائل واسر معروفة الانساب وتحمل هذه الالفاظ دوماً دليل معناها وأصلها وميسم نسبها وذلك في الحروف الثلاثة الاصلية التي تدور مع مايتولد عنها ويشتق منها من الفاظ وتختلف مفردات هذه المجموعات أو أسر الالفاظ كثرة وقلة فهي كالقبائل منها المنجب والعقيم والمكثر والمقل . ان الالفاظ العربية تكثر ويتوالد بعضها من بعض باستمرار وتؤدي بهذه الطريقة الحية وظيفتها في الحياة اذ تقابل كل مولود جديد حسيا كان أم معنويا بمولود جديد مثله من اللفظ من الاصول الموجودة والارومات القائمة .

ولا يحتاج المرء الى كبير عناء لمعرفة هذه الالفاظ الجديدة ومعرفة قرابة الالفاظ ونسبها وارتباط بعضها ببعض. ذلك أن الالفاظ التي ترجع الى أصل واحد تشترك في عدد من الاصوات المتميزة وهي على الغالب ثلاثة يعرف بها سامعها أصلها ويدرك بجرسها نسبها.

وقد يشتبه الاصل لتغير صوتي طارىء قد يخفى ويدق ولكنه سرعان مايظهر على قلة هذه المشتبهات ومثال ذلك (**التقوى** فهي من الوقاية **والتراث** من ورث **والمئاد** من الاود **وتجاه** من الوجه **وسيان** من سوى) أما في اللغات الاخرى فان المشتبهات هي الاصل والغالب الشائع. وقد يكون التشابه من باب آخر وذلك أن بعض الالفاظ تتماثل حروفها وهي من مواد مختلفة وليست من أصل واحد واكثر مايقع هذا في اللغات الاجنبية فكلمة Iouer في اللغة الفرنسية تفيد معنى المدح والثناء ومعنى التأجير والحقيقة أن ثمة كلمتين لا كلمة واحدة احداهما نتيجة تطور كلمة Iocare اللاتينية ومعناها التأجير والثانية متحولة عن laudare بمعنى المدح ويقع مثل هذا في العربية في الالفاظ الاعجمية التي تلحق بمادة عربية كالاقليد في مادة (ق ل د) كما يقع في بعض الالفاظ المشتبهة الاصل وهي قليلة نادرة كلفظ (الملائكة) واختلافهم في أصلها هل هو (أ ل ك) ام (م ل ك).

الاشتراك في الاصوات الاصلية:

ان القدر المشترك بين الالفاظ التي ترجع إلى أصل واحد هو في

اللغة العربية ثلاثة حروف ويسمى مادة الكلمة وأصلها وهو الاساس الذي اتخذ في ترتيب المعاجم العربية فقد رتبت الالفاظ وجمعتها بحسب انسابها وأصولها فجعلت الكلمات التي ترجع إلى مادة واحدة في مكان واحد فجمعت في مادة (ض ر ب) جميع مشتقاتها المتولدة عنها وكذلك في (ق ط ع) و (ع ل م) وغيرها وليست كذلك معاجم اللغات الاخرى لتعذر ذلك بسبب ضياع أصول الالفاظ واندراس معالم انسابها ولذلك رتبوها ترتيباً فردياً لاجماعياً راعوا فيه ظاهر اللفظ لاحقيقته وأصله فتباعدت الاقارب وتقاربت الاباعد اللهم الا في معاجم تعرف بالمعاجم الاشتقاقية (étymologique) ولكن هذه المعاجم لا يستعملها إلا الخاصة من المشتغلين باللغة .

إن هذه الحروف أو الاصوات الثلاثة هي العنصر الاساسي في تركيب الكلمة العربية وهي كذلك العنصر الثابت فيها وأما الحركات أو المدود القصيرة وحروف العلة فهي عنصر ثانوي وكذلك حروف الزيادة التي تزاد على الاصوات الثلاثة في مختلف تصاريف الكلمة . فالحركات وهي في الحقيقة حروف مد قصيرة تتبدل في اللفظ الواحد وتبدلها يولد الفاظاً وتصاريف تفيد الواناً من المعاني فالحروف (ك ت ب) يمكن أن تقرأ : (كَتَب) و (كُتِب) و (كُتُب) ولكل منها معنى خاص ويجمعها معنى عام هو الكتابة ولعل هذا هو السبب في عدم اثباتها في الرسم لكثرة تبدلها . وأما حروف العلة أو المد فهي كذلك عرضة

للتبدل والحذف فقد تقلب الياء واوا والواو ياء والالف واوا أوياء
إلى غير ذلك من التبدلات مثل قال وقيل وقول ومقال ومقول وقد
تقلب إلى حرف صوتي آخر وذلك نحو: أتقى واتعد واتسم وقد تحذف
في نحو (لم يقل ولم يرم وهادٍ وقل)، وذلك دليل على صحة تسمية
النحاة لها (حروف علة) فهي من الكلمة موطن الضعف ومحل الاعتلال
ولعل هذا هو السبب كذلك في حذفها في الرسم العربي القديم.

أما الحروف الزائدة على الحروف الثلاثة الاصلية في الكلمات
العربية فهي محدودة محصورة جميعها علماء الصرف في (سالتمونيها)
ولذلك كانت مشتقات الالفاظ جارية على نسق واحد في العربية
فالاصوات الثلاثة الاصلية تصب في قوالب معلومة وتصاغ في
أشكال محدودة لاداء أنواع المعنى الواحد باضافة حروف مخصوصة
من حروف الزيادة المذكورة وذلك مثل (كاتب ومكتوب ومكتب
وكتاب وكتب ويكتب واكتب ويكتبون ويكتبن ... الخ)
وهذه القوالب أو الاشكال هي المعروفة في اللغة بالابنية أو الاوزان
وهي موضوع بحث آخر يلي بحث الاشتقاق.

فالاشتقاق يحدد الكلمة أو (مادتها) الاساسية و (معناها)
الاصلي وبحث الابنية أو الصرف يحدد شكلها أو بناءها الذي
يكسبها معنى زائداً يضاف الى المعنى العام فيخصصه ويحدده.

الاشتراك في المعنى العام :

ان الالفاظ التي تشترك في الحروف أو الاصوات الثلاثة الاصلية تشترك كذلك في معنى اصلي عام ينظم مفرداتها ويسميه ابن فارس في مقاييسه الاصل ويصدر به الكلام في كل مادة فيقول مثلا : «(خص) الخاء والصاد اصل مطرد منقاس وهو يدل على الفرجة والثلمة فالخصاص الفرج بين الاثافي ويقال للقمر بدا من خصاصة السحاب... والخصاصة الاملاق والثلمة في الحال[1] ومن الباب خصصت فلانا بشيء خصوصية بفتح الخاء[2] وهو القياس لانه اذا أفرد واحد فقد اوقع فرجة بينه وبين غيره والعموم بخلاف ذلك والخصّيصى الخصوصية» . وقد يرجع المادة الى اصلين او أكثر ولكن الباحث المتأمل يستطيع ان يرجع هذين الاصلين أو الثلاثة الى أصل واحد بقليل من امعان النظر من غير تنطع ولا تعسف ومثال ذلك مادة (خلف) التي ارجعها الى اصول ثلاثة : «احدها ان يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه والثاني خلاف قدام والثالث التغير» . وكذلك مادة (غ ور) التي جعلها اصلين احدهما خفوض في الشيء وانحطاط وتطامن والاصل الآخر اقدام على أخذ مال قهرا أو حرباً . واما بقية المعاجم فانها تلاحظ ذلك

---

(١) هكذا في الاصل ولعلها في الحائط .

(٢) وبضمها كما في اللسان والقاموس .

عرضافي شرح المادة و كثيراً ماتشير الى ما بين الفاظ المادة من صلة معنوية .

ويختلف هذا المعنى العام في كل واحدة من مفردات المادة بحسب الصيغة التي تصاغ بها مثل قطّاع ومقطوع ويقطعون من قطع ، اذ تشترك كلها في المعنى العام للقطع وتدل الاولى على من يقوم به بشدة أو استمرار وكثرة والثانية تدل على ماوقع عليه القطع والثالثة على حدوث الفعل من جماعة غائبين . على ان هذا المعنى العام للمادة قد يصيبه مع مر الزمن وتداول العصور تبدل بالتخصيص أو التعميم او بالانتقال الى معنى مجاور وقد يجتمع المعنيان القديم والحديث في المادة وقد يهمل القديم فيصبح اصلا تاريخياً ويبقى المعنى الجديد والافاضة في هذا البحث ليست من باب الاشقاق وانما هي موضوع بحث خاص في تطور معاني الالفاظ .

وقد يقع هذا التغير في بعض مفردات المادة دون شمولها جميعا فتفرد بعض هذه المفردات المشتقة من المادة بمعنى خاص بها عن اخواتها في الاصل كالضريبة من ضرب والعقيلة من عقل والدقيقة للجزء من الساعة والرابية للارض المرتفعة والصفقة لعقد البيع .

وقد تفرد بعض الالفاظ من سائر مفردات المادة فتسير مسرعة تبدل معنى بعد معنى حتي يخيل للناظر ان لا صلة بينها و بين سائر المفردات وان لا نسب يجمع بينهما لولا تشابه الملامح البادي في الاصول الاصلية .

ولذلك كان الاشتقاق كاشفاً عن الاصل القديم دالا على الصلة والنسب وكان الاشتراك في المادة دليلاً على وحدة الاصل ولو تفرقت المعاني واختلفت الاشكال .

فتأمل في معاني المجموعات التالية من الالفاظ (عَقَل ، عقال ، عقيلة ، اعتقال، عَقْل) (سفر ، سافر ، سفير ، اسفر) (دار، الدار، استدار ، دائرة ، مدير ، ادارة، دارة، دوار ، مدار) تجد الصلة ظاهرة بين مفرداتها وان تباينت معانيها ولكنك اذا نظرت في كلمتي (الجار) بمعنى الساكن الملاصق و (الجور) بمعنى الظلم لم تجد صلة ظاهرة بل احتجت الى مزيد تأمل والى النظر في تاريخ اللفظتين في حياة العرب اصحاب هذه اللغة فاذا فعلت ذلك ظهر لك ان (الجار) هو من يدخل في حماية القبيلة فيسكن في (جوارها) أي بالقرب منها وفي حمايتها فيجيرونه من (أجار) اذا رفع عنه الجور وهو الظلم والتعدي والهمزة فيه للسلب نظير أشكى وأعدى وأعتب. قال الزجاج: «الرحل من الرحيل والثور لانه يثير الارض والثوب لانه ثاب لباساً بعد ان كان غزلا » .

آراء وملاحظات :

١ ــ الاشتقاق كما تبين لنا من العرض السابق هو توليد الالفاظ بعضها من بعض ولا يكون ذلك الا بين الالفاظ التي يفترض ان بينها أصلا واحداً ترجع اليه وتتولد منه فهو في الالفاظ أشبه بالرابطة

النسبية بين الناس فلا بد لصحة الاشتقاق بين لفظين أو أكثر من عناصر ثلاثة :

(١) الاشتراك في عدد من الحروف وهي في اللغة العربية ثلاثة واما الاشتراك فيما دون ذلك فسيأتي بحثه .

(٢) أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في هذه الالفاظ .

(٣) أن يكون بين هذه الالفاظ قدر مشترك من المعنى ولو على تقدير الاصل .

ولذلك فقد عرف قدماؤنا الاشتقاق بانه « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة اصلية وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفاً او هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر » (المزهر للسيوطي)

٢ ــ ولا شك ان هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد اجزاؤه ويتصل بعضها ببعض باواصر قوية واضحة وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لا بد منها لو عدم الاشتقاق وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهي الحروف او الاصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء كان باديا ظاهرا أو مختفياً مستسرا خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول ان ارتباطها حيوي

وان طريقتها (صبوبة نولبدية) وليست آلية جامدة .

أما طريقةاللغات الاخرى ولا سيما (الهندية الاوربية)فهي طريقة آلية اكثر منها توليدية وان كان للاشتقاق فيها نصيب ولكنه محدود فان الطريقـة الغالبة في هذه اللغـات هي طريقة النحت والصاق الكلمات بعضها ببعض ومثال ذلك هـذه الالفاظ في اللغـة الافرنسية automobile,anthrolopogie,misanthrope وفي الفارسية (روزنامة ، شاهنامه ، نيروز) .

٣ ـــ ولهذاكان الاشتقاق في اللغة العربية وسيلة رائعة لتوليـد الالفاظ للدلالة على المعاني الجديدة ولم ينقطع سيل الالفاظ الجديدة في اللغة العربية . ففي صدر الاسلام وفي العصور التـالية وفي العصر الحديث ظهر عدد كبير من الالفاظ لاداء المعاني الجديدة للدلالة على افكار او اشياء مادية وذلك بطريق اشتقاق لفظ جديد من مادة قديمة كالجهادوالزكاة والعامل وكالعرض (المقابل للجوهر) والتأليف والتصعيد والتجريـح والتعديـل والشعوبية والتصدير والاذاعة والاشتراكية ....

وكان الاشتقاق كذلك طريقا للتجديد والتنويع الفني كاستعمال القرآن للفظ الواقعة والغاشية والطامة والقارعة بمعنى القيامة لتجديد اللفظ والباس المعنى حلة جديدةوربما القى اللفظ بظله على معنى آخر فاكسبه بذلك جمالا وجدة. لاحظ مادة(شجر) فيقول البحتري:

شواجر ارماح تقطع بينهم   شواجن ارحام ملوم قطوعها

٤ ــ واذا كان الاشتقاق في اللغة العربية مظهراً من مظاهر حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد فانه كذلك مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطبيعة في ارجاع الجزئيات الى الكليات وربط الاجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع وتتجلى في ذلك مقدرة اللغة العربية في الربط والتصنيف سواء في الالفاظ أو في المعاني وتطبع بذلك عقلية اصحابها بهذا الطابع المنطقي العلمي وان شئت عكست فقلت ان هذه الخاصة هي صدى ما في العقلية العربية من خصائص التفكير المنطقي والعلمي.

٥ ــ والاشتقاق يدلنا على اصول الالفاظ فيمكننا من ربط الكلمة باخواتها وافراد المجموعة التي تنتسب اليها وذلك مما يثبت معناها او يوضحه فان كلمة سماء من (س م و) وشتى جمع شتيت من (ش ت ت) والتلاد من (و ل د) وهو المال أو المجد الذي يملكه الانسان منذ ولادته لانه موروث و (الكفاءة) معناها التعادل فانها من (ك ف أ) ومنها الكفؤ والاكفاء أي المتعادلون والمكافأة واما (الكفاية) ومعناها الاكتفاء والاستغناء فهي من (ك ف ى) ومنها الكافي والكفاة و (استكان) من سكن وهي من باب افتعل اشبعت حركة عينها ولفظها موهم انها من باب استفعل وليست كذلك .

والاشتقاق هو الطريق إلى حسن فهم اللغة والتفقه فيها ومعرفة أسرارها والدخول في عالمها الخاص فإنه يربط الالفاظ ويصل بين معانيها فإن معرفة مادة (ر ب و) تطلعنا على حقيقة معاني (الربا والزبوة) وصلتها بمادة (ر ب ب) ومنها (التربية والرب والمربى) وفيها جميعاً معنى الزيادة والنماء وكذلك فإن معرفة أن (الشرف) هو المرتفع من الارض ومنها (أشرف) و (الشرف) بمعنى سمو الخلق والشعور بالكرامة وأن (الاشتجار) التشابك من (الشجر) يدخلنا في صميم اللغة ويشعرنا بارتباط هذه المعاني ويجمع الصور المتماثلة والمعاني المتشابهة فيفسر بعضها بعضاً وينير الواضح منها الغامض والحسي المعنوي.

٦ — واذا كان الاشتقاق قد جعل ألفاظ اللغة العربية مجموعات ينظم كل واحدة منها سلك جامع مؤلف من مادة ومعنى فإنه بذلك أصبح كاشفاً عن أصل الالفاظ وسبيلاً إلى معرفة الاصيل من الدخيل فإن الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالباً في معزل عن هذه المجموعات فلا تجد لها أصلاً لفظياً ذا معنى يدل على أصالتها كالصراط والفردوس والكوب فليس في العربية مادة (ص ر ط) ولا (فردس) ولا (كوب) هذا وإن بعض الالفاظ الدخيلة قد يخفى أصلها لالتحاقها باصل عربي لمشابهة لفظية ولا بد للالفاظ الدخيلة من الالتحاق باصل عربي شأنها في ذلك شأن الغرباء عند العرب إذ لا بد من التحاقهم بالولاء بقبيلة عربية. وقد يكون بين هذا اللفظ الدخيل والمادة التي ألحق بها

تناسب وتقارب بحيث يمكن تخريجه على الاصل العربي ولكن العبرة بالرجوع الى الحقيقة التاريخية لمعرفة الاصل ومثال ذلك (المقاليد) بمعنى المفاتيح ومفردها (إقليد) وأصلها يوناني وهو (kleida) وقد وقد يظن الناظر من غير بحث أنها عربية من مادة (ق ل د) وهو ظن خاطىء يكشف عنه البحث الاشتقاقي التاريخي .

على أن اللفظة الغريبة التي يدخلها العرب في لغتهم قد تلد ألفاظاً من جنسها على طريقة العرب في الاشتقاق ومن ذلك **تدوين** الدواوين **والتفنين والتفسيط** ومن ذلك قول الامام علي (ر ض) نورزونا كل يوم حينما قدمت له الحلوى في يوم (نوروز) . وقد بينا آنفاً كيف يكون الاشتقاق سبيلاً إلى كشف الصلة بين المعاني المتباعدة لالفاظ من مادة واحدة كالجار والجور وقد يكشف عن عادات وأحوال ماضية فالفاظ (**الصفقة والعقد واليمين**) تدل على عادات قديمة بل قد يكشف عن عقليات الامم ومفاهيمها **فالصديق** في اللغة العربية مشتقة من الصدق وعليها يبني مفهوم الصداقة عندهم وأما في اللغة الفرنسية المأخوذة من اللاتينية فإن كلمة (ami) مشتقة من (aimer) ومعناها الحب فمفهوم الصداقة عندهم مبني على أساس المحبة وكذلك **العدو** في العربية فهو مأخوذ من عدا عدواً وعدوانا بمعنى التجاوز والاعتداء فالعدواة سببها عند العرب الاعتداء والظلم وأما في الفرنسية فان

كلمة (ennemi) عدو مأخوذة من البغض أو نفي الحب (في اللاتينية inimicum) .

وبهذا يكون الاشتقاق هو الجسر الموصل بين اللغة والحياة الفكرية والاجتماعية والسبيل الى البحث في الصلة بين التعبير والتفكير والعمل أو العادة عند الامم ولم يعن به الباحثون المحدثون في اللغات الاجنبية عناية كافية كما أن قدماء الباحثين في اللغة العربية لم يبلغوا من بحثه مبلغاً شافياً ولا سبروا أغواره واستخرجوا أسراره ولايزال مجال القول فيه واسعاً رحباً .

إن الاشتقاق الذي بحثناه فيما تقدّم والقائم على اشتراك الالفاظ في حروف ثلاثة أصلية هو الطريقة الاساسية التي لاتزال حيةمستمرة في توليد الالفاظ في اللغة العربية منذ العهود التي اكتملت فيها اللغة ونقلت إلينا آثارها ونصوصها وهو المراد حين تطلق كلمة الاشتقاق الصغير تمييزاً له من أنواع أخرى من الاشتقاق سنستعرضها في البحث اللاحق .

انواع الاشتقاق

الاشتقاق الكبير والاشتقاق الاكبر — النظرية الثنائية

القيمة التعبيرية للحرف الواحد في اللغة العربية

ان ألفاظ اللغة العربية كما دلنا البحث السابق وكما تبدت للناظرين والباحثين فيها قديماً وحديثاً تقوم على حروف ثلاثة أصلية هي ملاك أمرها والعنصر الاصلي الثابت فيها على اختلاف تقلباتها وتصاريفها وتتألف اللغة العربية من مجموعات ثلاثية قوام كل مجموعة منها ثلاثة حروف هي بالنسبة للالفاظ المندرجة في تلك المجموعة مادتها الاصلية وأطلاق كلمة (المادة) على هذا المعنى تسمية لقدامى اللغويين من أهل العربية وما سوى الثلاثي من الالفاظ المؤلفة من أربعة حروف أو أكثر ترد الى هذه الثلاثة بطريق الاشتقاق أو النحت ويسمى أخذ الكلمة من هذه المادة الاصلية اشتقاقاً .

وقد سمى اللغويون الاشتقاق المبني على هذا الاساس الثلاثي أي على الاشتراك في ثلاثة حروف مرتبة ترتيباً ثابتاً دون تبديل في مواقعها

بين الكلمة المشتقة والمادة الاصلية **الاشتقاق الصغير** واذا أطلقوا كلمة الاشتقاق فإنما يريدون هذا النوع منه .

ونريد الآن أن نتقدم خطوة أخرى في تحليل عناصر الكلمة العربية ومعرفة أسرار تركيبها وخصائص تكوينها والبحث من وراء ذلك عن وجود صلات بين المجموعات الثلاثية تمكننا من رد هذه المجموعات الى مجموعات اوسع منها واجمع تكون هي منها كالافخاذ من القبائل .

ولننظر اولاً في المادة الثلاثية للالفاظ العربية ولنحاول حل عناصرها وتحطيم ذرتها ومعرفة الطريقة التي بها ركبت والعمل الوظيفي لحروفها وطريقنا الى هذا الهدف هو استعراض الالفاظ المشتركة في حرفين من اصل الثلاثة اولا والبحث عن وجود صلة معنوية بين هذه الالفاظ وعن الصلة كذلك بين الالفاظ التي تشترك في حرف واحد وعن الرابطة بين الالفاظ التي تتشابه حروفها المتقابلة في مخرجها سواء اكان ذلك في الحروف الثلاثة او في بعضها .

ولقد أبدى عدد من قدماء اللغويين كالخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي وابن جني ملاحظات كثيرة حول هذا الموضوع وكان ابن جني أبينهم وأوسعهم نظراً وأوضحهم بحثاً فقد بسط ما لاحظه من صلات بين الالفاظ المشتركة في حرفين أو في حرف واحد مع التشابه في الحروف الاخرى مثل (**أز وهز**) و (**قرم وقلم**) و (**جرف**

جلف وجنف) و (الغرب والغرف) و (السد والصد) و (القسم والقصم) و (الخصم والقضم) و (النضح النضخ) و (القد والقط) وغير هذا من الامثلة والملاحظات التي أوردها في أبواب متفرقة من كتاب الخصائص وسار على أثره عدد من الباحثين القدماء والمحدثين كجرجي زيدان والكرملي والعلايلي[1] في المتأخرين وخرجوا من ذلك بنظرات متقاربة في أصل الالفاظ العربية وتاريخ نشوئها وتكونها .

الاشتراك في حرفين — المجموعات الثنائية — النظرية الثنائية

لنستعرض قبل البحث عدداً من الامثلة التي يلاحظ فيها الاشتراك في معنى كلي بين الفاظ تشترك في حرفين من أصولها لنستطيع أن نبني عليها بعدئذ بحثنا ويلاحظ أن كل واحدة من هذه المجموعات الثنائية أي المشتركة في حرفين اثنين تضم عدداً كبيراً أو صغيراً من المجموعات الثلاثية :

(١) النون والفاء وما يثلثهما (نف ...) :

---

(١) الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ٥٦ . نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها للأب انستاس الكرملي ص ١و٢و١٠٧ مقدمة لدراسة لغة العرب للشيخ عبد الله العلايلي ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

نفث ، نفج[1] نفح ، نفخ ، نفد ، نفذ ، نفر ، نفز[2] نفس ، نفش ، نفض[3]
نفع ، نفّ ، نفق ، نفل ، نفى .

وتتضمن كلها معنى الخروج والانتقال أو الاخراج .

(٣) النون والباء وما يثلثهما (ن ب ...) :

نبأ[4] نبّ ، نبت ، نبث[5] نبج ، نبذ ، نبر ، نبز ، نبس ، نبش ، نبض ،
نبع ، نبغ ، نبك[6] نبم ، نبا .

وتتضمن كلها معنى الخروج أو الاخراج ولكن الى الاعلى غالباً
ويلاحظ أن هذه المجموعة الثنائية تتشابه مع سابقتها في المعنى وتشتركان
في النون وتتشابه الفاء والباء وهما حرفان شفويان .

(٣) غمر ، غمس ، غمص «[7] غمض ، غمط غمّ

وتتضمن معنى الاخفاء وإذا كان بدل الميم باء وكلاهما شفوي المخرج
وجدنا الالفاظ التالية: غبر ، غبش ،[8] غبط ، غبق ، غبن وتتضمن المعنى نفسه.

---

(١) نفج الارنب ثار والفروجة خرجت من بيضتها .

(٢) نفز الظبي وثب .

(٣) نفض القوم ذهب زادهم . والزرع خرج آخر سنبله والكرم تفتحت عناقيده .

(٤) نبأ ارتفع وعليهم طلع وخرج من ارض الى ارض والنبيء والنابيء المكان المرتفع .

(٥) النبث كالنبش .

(٦) النبكة الاكمة المحدودة الرأس وانتبك ارتفع والنابك المرتفع .

(٧) غمصه احتقره وعابه وتهاون بحقه والنعمة لم يشكرها .

(٨) الغبشة الظلمة آخر الليل والغابش الغاش الخادع .

(٤) غا ...

غاب ، غار ، غاص ، غام ، وتتضمن كذلك معنى الاختفاء

(٥) فل ..

فلج ،فلح ، فلع ،فلق ، فل وتتضمن معنى الشق ولو أبدلنا اللام راء وكلاهما من مخرج واحد لوجدنا المجموعة التالية وهي كذلك تدل على الفصل والتفريق :

(٦) **فرث ، فرج ، فرد ، فر ، فرز ، فرش ، فرص**[1] **فرض ، فرط ،فرع ، فرغ ، فرق ، فرك ، فرم ، فره ، فري**

(٧) قط ..

قط ، قطع ، قطف ، قطل،[2] وتفيد كلها معنى القطع والفصل ولو أبدلت الطاء دالا أو تاء لوجدنا **قد وقتل** .

(٨) حج ...

حجب ، حجر ، حجز ، حجم ، (الاحجام) ، حجل ، الحجى وتفيد المنع

(٩) خ ر ...

خرب ، خر ، خرز ،خرس ،خرط ،خرف ، خرم وفيها معنى النقصان

(١٠) قص ... :

---

(١) فرصه قطعه وخرقه وشقه والمفراص الحديد يقطع به الحديد .

(٢) قطله قطعه وعنقه ضربها ونخلة قطيل قطعت من اصلها وكمكنسة حديدة يقطع بها .

قصر، قصف، قصم، قص، اقصى وتتضمن معنى الانتقاص والفصل.

(١١) خس ...

خسيء خسر خس خسف وإذا أبدلت السين صاداً وجدنا الاصول التالية خص (الخصاصة الحاجة) خصم خصى وقريب منها (كسر وكسح وكسف) وتفيد كلها معنى الانتقاص والتجزئة وصلتها بالمجموعة السابقة ظاهرة.

(١٢) ماج، ماد، مار، ماس، مال وكلها تفيد الحركة والاضطراب

(١٣) جمر : جمع، جمل، جم، جمد، جمر[1]

ومن هذا القبيل: (ضم وضمه وضمر) و (كد وكدح) و (رسا ورسب) و (رص ورصف) و (سار) للتحرك في المكان (وصار) للتحرك في الزمان و (مت ومد ومط ومطل) و (وسم ووشم ووصم) و (جنح وكنح) و (غفر وكفر) و (غبن وخبن) و (آب وتاب وثاب) و (نقر ونقض ونقص) و (طمر وطمس وطم وطما) و (سار وسال وساح وسام) وحفظ وحفل وحف) وتتضمن مع الجمع والاحاطة و (وبدأ وبدر وبدع وبده وبدا) وتتضمن معنى الظهور و (نكر ونكس ونكص ونكل) وتتضمن معنى الرجوع.

ويمكن أن نستعرض أمثلة كثيرة جداً من هذا النوع أي من

---

(١) جمّره تجميراً جمعه وتجمر القوم تجمعوا كجمروا وجاؤوا اجمارى أي بأجمعهم والجمير مجتمع القوم.

الالفاظ التي تشترك في حرفين دون الثالث وفي معنى عام يجمعها وينظم مفرداتها وبذلك نكون قد اكتشفنا صلة جديدة بين المجموعات الثلاثية التى تشترك في حرفين من أصولها وفي فكرة كلية تجمعها وتتكون بذلك مجموعات ثنائية كبيرة ، ولتعليل هذه الصلة نجدأ نفسنا أمام عدد من الاحتمالات والآراء :

أولاً — يمكن أن نقول ان الاصل في اللغة هو المجموعات الثلاثية فالمادة الاصلية في الكلمات العربية تتألف من حروف ثلاثة ولكن قد يعتري أحد هذه الحروف تبدل صوتي بتوالي الازمان أو باختلاف القبائل والبيئات ومن ذلك تتكون هذه المجموعات الثنائية ويكون هذا الاشتراك بين المجموعات الثلاثية في حرفين دون الثالث ولكن هذا القول لايمكن تعميمه فان في الامثلة التي قدمناها وفي غيرها حالات ليس فيها أي تقارب بين الحروف الثلاثة في الالفاظ ولم يجر التبدل الصوتي في اللغات على هذا السنن ولم يقع تبادل بين حروف متباعدة كالفاء والعين في قطع وقطف والراء والضاد في غاروغاض ، على أن هذا الرأي يمكن أن يقبل بالنسبة لبعض الالفاظ مثل (قدوقط) و (رسم وشم وصم) و (مت ومد ومط) ولكن من العسير تعميمه على جميع الامثلة فلا يمكن أن نقيم من هذا التعليل نظرية عامة في أصول الالفاظ العربية [1] .

---

(١) انظر بحث الابدال في المزهر ج ١ ص ٤٦٠ (طبعة دار احياء الكتب العربية) وكتاب سر الليال لاحمد فارس الشدياق .

ثانياً — ويرى عدد من فقهاء اللغة قديماً وحديثاً أن الالفاظ العربية ترجع في منشئها التاريخي القديم إلى أصول ثنائية زيدت حرفاً ثالثاً في مراحل تطورها التاريخي وقد جاء هذا الحرف الثالث منوعاً للمعنى العام الذي تدل عليه تلك الاصول الثنائية ومثال ذلك **قط وقطع وقطف وقطل وقطم** فالاصل فيه على رأي القائلين بالثناية هو (**قط**) والحروف الثالثة الاخرى وهي (ط ، ع ، ف ، ل ، م) منوعة لمعنى القطع ومخصصة له وكذلك (**غمر وغمس وغمس وغمط وغمق**[1] **غم**[2] **وغما**[3] **وغمى**) الاصل فيها (غم) ويفيد التغطية والاخفاء والحرف الثالث مخصص تفيد الكلمة باضافته معنى خاصاً من معاني التغطية ويمكن القول بمثل هذا في المواد أو المجموعات التي تشترك في النون والفاء أو النون والباء (**نب**) أو القاف والصاد (**قص**) أو الفاء والراء (**فر**) وأمثالها .

وأكثر الذين يقولون بالاصل الثنائي للالفاظ العربية يقولون كذلك إن هذه الاصول الثنائية نشأت عن حكاية الاصوات الطبيعية المقارنة للفعل أو الحدث الذي تدل عليه تلك الاصول فال (**قط**) حكاية

---

(١) غمقت الارض مثلثة ركبها الندى فهي غمقة .

(٢) غمّ الشيء غطاه وامر غمة مبهم وغمّ الهلال حال دونه غيم رقيق وغم عليه الخبر استعجم والغمامة السحابة .

(٣) غما البيت يغموه غطاه بالطين والخشب واغمى عليه غشي عليه .

للصوت المقترن بالقطع وال (**قص**) للصوت الذي ترجع إليه معاني (**قص و قصم و قصر و قصي و خص و خصم و خس و خسف و كسر و كسف و قسم** . . .) ويتفرع عن هذا الرأي القول بتقارب معاني الالفاظ لتقارب أصواتها وقد عقد ابن جني العبقري اللغوي في كتابه الخصائص فصلا خاصاً عنوانه (باب في تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) وجاء فيه بكثير من الامثلة الشاهدة لرأيه مثل (**أز**) بمعنى ازعج واقلق و (**هز**ّ) و (**غرب**) ومنها الغرب بمعنى الدلو و (**غرف**) و (**جرف و جلف و جنف**) الى أن أتى بشواهد من ألفاظ تتشابه حروفها في مخارجها دون أي اشتراك بينها مثل (**غدر و ختل**) وختم الباب بقوله « وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة وإنما بقي من يثيره ويبحث عن مكنونه » ثم يتبع هذا الباب بباب آخر عنوانه (باب في امساس الالفاظ أشباه المعاني) .

ويستطرد ابن جني من ذلك الى شرح نظريته الصوتية في اللغة بوجه عام دون أن يخرج منها الى نظرية واضحة في تركيب الالفاظ ومنشئها التاريخي ، وان كان أشار الى ذلك بقوله في معرض دلالة أصوات حروف الكلمة على أجزاء الحدث الذي تدل عليه : « فان أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه ولا يتابعك على ما أوردناه فأحد أمرين إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه أو لان لهذه اللغة اصولاً وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا »[1] .

---

(١) الخصائص ج٢ ص١٦٤ .

واذا صح أن الاصل من الحروف الثلاثة حرفان والثالث منوع للمعنى العام ومخصص له فأين يقع الحرفان من الثلاثة وأين يقع الحرف المضاف؟

ان أكثر الامثلة التي أوردها الباحثون تدل على أن الحرف المضاف هو الاخير ولكنهم كذلك أوردوا أمثلة يقع فيها الحرف الثالث في وسط الكلمة الثلاثية أو في أولها.

قال زيدان في الفلسفة اللغوية[1]: « فنرى مما تقدم أن الحرف المزيد واقع في آخر الكلمة وهذا هو الأغلب إلا أنه قد يكون في الوسط أي بين الحرفين الاصليين كشلق من شق وفرق من فق وقرط من قط وقرص من قص وقرض من قض وشرق من شق ولحس ولسع ولهس من لس . . . وقد يكون في أول الكلمة نحو رفت من فت و لهب من هب و رفض من فض و لمس من مس و فطح و بطح من طح و نذل من ذل و غلف من لف وقس عليها » . وقال الكرملي في كتابه نشوء اللغة العربية : « إن الكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة لاصوات الطبيعة ثم فئمت أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف فتصرف بها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والاهوية » (ص ١) .

وقال تحت عنوان (اصول الكلم وتراكيب حروفها) : « ان أول

---

(١) ص : ٥٧

ما وضعت عليه أصول هذه اللغة كان يتقوم من حرفين ثم كسع بحرف ثالث للتثبت من تحقيق لفظ الحرف الثاني من الكلمة ومنذ ذلك الحين بنيت كل لفظة عربية على ثلاثة أحرف وأصبحت لها كالأثافي وعليها أحكم وضع اصولها وما زيد على ذلك القدر من الاحرف الحق بها لغايات شتى يذكرها علماء العربية في مطاوي مباحثهم » (ص١٠٧).

وقد أورد الكرملي للتصدير أي لزيادة الحرف في أول الكلمة هذه الامثلة (ترم ، جرم ، حرم ، خرم ، شرم ، صرم ، عرم ، غرم) وجعل الاصل فيها كلها (رم) . وهذه الامثلة الاخرى للحشو أي لزيادة الحرف في قلب الكلمة : (رتم ، رثم ، رجم ، ردم رسم ، وشم ، رضم ، رطم ، رغم ، رقم ، ركم) والاصل فيها كذلك (الرم) ، وقال الاستاذ العلايلي في مقدمته لدراسة لغة العرب . « الثلاثي وحدة كلم العربية وعليه استقرت في الثروة البالغة عظماً واتساعاً وعلى ملاحظة الثلاثي بنى اللغويون أبحاثهم » (ص ١٩٩) وهو يوافق اللغويين القدماء في رأيهم هذا ثم يحصر خلافه معهم في وجهين :

١) كيف نشأ الثلاثي . ٢) ليست كل مادة من الثلاثي وحدة على حدة بل طرف من وحدة تستوي في دائرة الثلاثي . ويرى أن القدماء لم يعتبروا الثنائي مرحلة تاريخية سبقت الثلاثي وانه به تعلل نشأة الثلاثي ويقول بعد هذا :« وكيفما كان الامر فحديثنا الآن عن تأكيد

ان الثلاثي نشأ عن الثنائي وان كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً وهي الثنائيات التي نظنها هي المعلات وهذه المعلات المحفوظة في شتى المعاجم يجب أن نتخذها عدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجهه لانها الاصل الذي انفصل عنه ولم يكن عمل التصحيح إلا ضرباً من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية فالواوي منها ينظر الى الضمة الممدودة واليائي الى الكسرة كذلك ومن ثم يتأيد ما ذهبنا إليه من أن هذه الحركات تراد لمعان بعينها في العهد الصوتي ثم تصححت كل حركة بحرف من جنسها بعد أن اتخذت العربية وحدتها في الثلاثي . . . . ونستطيع أن نقول بعد هذا ان مطلق الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورة التي عليها المعلات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان ان محله[1] الوسط » ومن الامثلة التي أوردها : (عبل) ويفتش عليها في (عل - علا) . فلا يجمعها مع (عبث و عبر) جامع فان (عبث) مثلا مأخوذة

---

(١) ويقول العلايلي في الحاشية في هذا الموضع : « لا انكر ان الاخذ الاحتمالي في ان يكون المزيد على الثنائي الفاء او العين او اللام الذي قرره دارسو اللغة من قبل قد يبدو على بعض الكلمات ضرورياً حين لا يظهر تمام الجامع في الحشو ولكن مع ذلك لا أرى في هذا مايهدم النظرية كشيء يشمل اللغة في اكبر عدد من المواد المحفوظة ... وطريقة تطبيق النظرية ان نتناول المادة بعد تجريد حرف الوسط ونتناول معها المعلات التي وقع فيها هذان الحرفان على ترتيبهما .

من (**عث**) التي منها (**عثل و عثل**) ويختم مناقشة هذه القضية بقول هو الحق كل الحق : « وكيفما كان فانه لا يعنينا في العمل اللغوي أبداً لأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثي وانما هو يمت الى التاريخ اللغوي في التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة » ص(٢٠٠ ـ ٢٠٣) .

ولكن جرجي زيدان يرى احتمالا آخر هو ان الثلاثي يمكن أن يكون مأخوذاً من أصلين ثنائيين على طريق النحت: « نحو **قطف** ويفيد القطع والجمع والاصل فيه على ما أرى قط لف الاولى قطع والثانية جمع وبالاستعمال اهملت اللام ونقلت حركتها إلى ما قبلها فصارت قطف . **وقمش** أي جمع ما على الارض من فتات فانها ترد إلى أصلين قم وقش الاول بمعنى كنس والثاني جمع فكانوا إذا أرادوا كنس شيء ما وجمعه قالوا (قم قش) وبالتخفيف الغيت القاف الوسطى فقيل قمش . . . وان استبعد بعضهم هذا التعليل فهو غير مستبعد عند من له شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت » ثم قال : « وإذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه فلا يخلو أن يكون لاحدهما أولا فان كان الاول كان أحد اللفظين فعلا والآخر حرفاً زيد اعتباطاً . وهو في الغالب أحد هذه (ل م ن ر) وربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة أو تنويع الفعل بما يطابق قصده نحو **فض ورفض وهب ولهب وشق**

وثلق وكون وسكون . . . واذا لم يكن لاحدهما معنى في نفسه أي لا يكون اسماً ولا فعلا فلا يخلو أن يكون حرفاً وربما كان اسماً أو فعلا في الاصل ولم يعد مميزاً الآن . ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية نقدمها مثالا : من ينظر في لفظة (مال) بمعنى مقتنيات لا يخطر له إلا أنها أصل مستقل ولكنها في الواقع مركبة من (ما) الموصولة ولام الاضافة فكانوا يريدون بقولهم (مالك) الذي لك أي مالك ومقتنياتك » ويعلل زيدان بهذه الطريقة كلمة نار ونور فيجعلهما من (اور) وهي في العبرانية بمعنى النار ويقابلها بالعربية (اوار) والنون أما أن تكون بقية كلمة ذات معنى أو أنها لا معنى لها الحقت اعتباطا ومن هذا القبيل كلمة (ويل) فان أصلها وي مع اللام وي + لي أوله وبهذا علل بعضهم ليس من لا النافية وايس الدالة على الكون المطلق في بعض اللغات السامية .

ونوافق الاستاذ العلايلي في رأيه السديد الذي يتلخص باستقرار العربية على الاساس الثلاثي وأعتبار الاصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها مجديا إلا ضمن هذا الاعتبار التاريخي ولكني أرى مع ذلك أن النظرية الثنائية عدا صفتها التاريخية لا تزال في بداية البحث والذين قالوا بها لم يبنوا أبحاثهم على أساس استقراء واسع ولا يكفي لاثبات صحة هذه النظرية في لغة عدد موادها لا الفاظها تزيد على ثمانين الفاً — وهو عدد مواد لسان العرب لابن منظور —

صدقها في عشرات الامثلة بل في مئات منها كما أن البحث يجب أن يتناول اللغات السامية التي يفرض أنها تلتقي مع العربية في تلك المرحلة التاريخية البعيدة ومثل هذا الاستقراء والبحث الواسع لم يحصل حتى الآن ولكننا نسجلها على أنها ظاهرة تلفت النظر في اللغة العربية وتستدعي البحث ولا يعقل أن تكون هذه الأمثلة التي أوردها اللغويون حتى الآن والتي يتزايد عدد المكتشف منها كل يوم من قبيل المصادفة ولاشك أنها تدل على مافي العربية من أسرار في تركيب ألفاظها ومن روابط خفية بين موادها وأصولها ومجموعات ألفاظها وهي جديرة بمتابعة البحث والامعان في التحري والاستقراء .

القيمة التعبيرية للحرف الواحد في العربية

إن مباحث ابن جني ورأيه في المقابلة بين الخاصة الصوتية للحروف التي تتألف منها الألفاظ ودلالاتها تشير الى وظيفة الحرف المعنوية وان كان ابن جني لم يخرج من مباحثه وشواهده بهذه النتيجة الصريحة الواضحة .

يقول اللغوي العبقري في كتابه الخصائص : « نعم ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى واضع[1] وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالاحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف

(١) هكذا وردت في طبعة دار الكتب المصرية ولعلها اجلى وانصع .

على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب » ويستشهد لذلك بلفظ (بحث) « فالباء لغلظها تشبه خفقة الكف على الارض والحاء لصحلها[1] تشبه مخالب الاسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الارض والثاء للنفث والنبث للتراب» «ومن ذلك قولهم (شد) الحبل ونحوه فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ثم يليه إحكام الشد والجذب وتأريب العقد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها ... ومن ذلك أيضاً (جرّ) الشيء يجره قدموا الجيم لانها حرف شديد وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر وكرروها مع ذلك في نفسها وذلك لأن الشيء إذا جر على الارض في غالب الامر اهتز عليها واضطرب صاعداً عنها ونازلاً اليها وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق فكانت الراء — لما فيها من التكرير ولانها أيضاً قد كررت في نفسها في (جرّ) و (جررت) - أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها »[2].

وقال أيضاً في هذا الموضوع . « فاما مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث فباب عظيم واسع . . وذلك أنهم كثيراً

---

(١) الصحل البحة في الصوت

(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٦٣ و ١٥٧ او ج ١ ص ٥٥٥

مايجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره من ذلك قولهم خضم وقضم فالخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهمامن المأكول الرطب والقضم للصلب اليابس.. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث » ثم يأتي بامثلة مشابهة نحو (النضح والنضخ) و (القد والقط) و(الوسيلة والوصيلة) و (السد والصد) و (القسم والقصم)(١) .

ان هذه الفكرة التي تجلت عندابن جني أوحت الى بعض الباحثين في العصر الحديث بنظرية (القيمةالتعبيرية أوالبيانيةللحرففي الالفاظ العربية) ولنقدم بعض ماجمعناه من الامثلة على ذلك قبل البحث وابداء الرأي فيها :

١) حرف الغين (غ) في المواد التالية وما يتبعها ويشتق منها يدل على الاستتار والغيبة والخفاء :

غاب ، غار ، غاض ، غال ، غام .

غم ، غمر ، غمز ، غمص ، غمض ، غمط .

غرب ، غرز ، غرس ، غرف ، غرق ، غرم ، غلق ، غلف، غل .

---

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٥٧

غفر ، غفا ، غبش ، غبر ، غبن ، غبي .

غش ، غشي ، غط ، غطى .

٢) حرف النون (ن) في المجموعات والمواد التالية وتدل على الظهور والبروز :

نفث ، نفخ ، وأخواتها (النون والفاء وما يثلثهما) — **نبث ، نبت ، نبذ** وأخواتها .

نز ، نزف ، نزع ، وأخواتها — **نجم ، نشأ ، نما ، نطق ، نهض** . .

٣) حرف القاف (ق) في الاصول والمجموعات التالية وكلها تتضمن معنى الاصطدام أو الانفصال وتقترن بحدوث صوت شديد تصوره القاف في شدتها :

قد وقطع وأخواتها **قرع قرف** وأخواتها .

دق ، شق ، طوق ، عق ، طرق ، فرق ، عقر ، رقم .

٤) السين (س) ويتضمن كثير من الاصول التي تدخل فيها معنى الليونة والسهولة .

سهل ، سلم ، سل ، سلس ، سال ، سار ، ساب ، ساح ، ساق .

مس ، ماس ، ملس ، سحب ، سما ، سعد ، سكون ، بسم ، نسم ، سلف ، سعى .

فهل لنا أن نستنتج من هذه الامثلة وأشباهها ان للحرف الواحد في

تركيب الكلمة العربية قيمة تعبيرية وأن الكلمة الثلاثية تعبر عن معنى هو ملتقى معاني حروفها الثلاثة ونتيجة تمازجها وتداخلها كأن نقول مثلاً ان (غ ر ق) يحصل معناها من تلاقي معاني حروفها فالغين تدل على غيبة الجسم في الماء والراء تدل على التكرار والاستمرار في سقوطه والقاف تدل على اصطدام الجسم في قعر الماء والمعنى الاجمالي الحاصل من اجتماع المعاني الجزئية للحروف هو مفهوم مادة (غرق) .

لاشك ان في اللغة العربية خصيصة تبهر الناظرين وتلفت نظر الباحثين وهي تقابل الاصوات والمعاني في تركيب الالفاظ وأثر الحروف في تقوية المعنى أواضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الالفاظ ودلالاتها وهذا مما يدعونا إلى استقراء هذا البحث وتحري دلالات الحروف ولكننا نري أن الامثلة التي قدمناها والتي قدمها الباحثون في هذا الباب لاتكفي لاستنتاج قانون عام يشمل الفاظ العربية كلها ولكنه طريق ينبغي أن يشق وباب يجب أن يفتح ولاريب عندي أن متابعة التحري والبحث في هذا الاتجاه سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي ونظرات عميقة في تركيبها وأن من تعجل الامور قبل الاستقراء والتحري تقديم قائمة كاملة بمعاني حروف العربية كما فعل الاستاذ العلايلي في كتابه (مقدمة لدرس لغة العرب) ص ٢١٠

الاشتقاق الكبير

ويتصل بهذه النظرة إلى الحرف العربي وقدرته في الدلالة وأثره في تكوين معنى الكلمة نوع من الاشتقاق سماه القدماء (الاشتقاق الكبير) وتجمع فيه في قرن واحد جميع المواد المؤلفة من ثلاث حروف بعينها مهما اختلف ترتيبها فاذا أخذت الحروف الثلاثة ر ك ب استطعت أن تؤلف منها بتنويع الترتيب هذه المواد الست (ركب . ربك. كبر كرب . برك . بكر) وقد ذكر المتقدمون بضع أمثلة من التراكيب الستة للكلمة الواحدة وزعموا أن للمقاليب الستة كما سموها معنى جامعاً كقولهم ان (ق و ل)وسائر تراكيبها تفيد الخفوق والحركة ومقاليب (ك ل م) تفيد القوة والشده وكذلك (ج ب ر) ومقاليب (س ل م) تفيد الضعف واللين وهذا الموضوع هو أول ماافتتح به ابن جنى كتابه الخصائص ورأيي أن اللغويين تعسفوا في هذا الباب تعسفاً كبيراً وتكلفوا شططا هذا مع أنهم لم يوردوا إلا أمثلة قليلة نادرة وخالهم التوفيق حتى في هذه الامثلة القليلة وليس ما اتفق في اللغة من هذا القبيل في رأيي إلا من باب القلب أي تبديل مواقع الحروف وذلك مثل (حمد ومدح) و (جبذ وجذب) و (يئس وأيس)[1]

---

(١) ومن هذا القبيل (غرب وغبر) و (اعرب وعبّر)

ومثل هذا يقع في سائر اللغات . وقد ميز البصريون تمييزاً يدل على نظرة لغوية عميقة بين تعدد اللفظ الناشيء عن تبدل مواقع الحروف في الكلمة فتكون احدى الكلمتين هي الاصل والثانية متولدة عنها وهذه هي حالة القلب وبين التعدد الناشيء عن اختلاف اللغات من الاصل وعلى هذا يكون رأي البصريين أن الاشتقاق الكبير موجود في اللغة وهو غير القلب « قال النحاس في شرح المعلقات القلب الصحيح عند البصريين مثل شاكي السلاح وشائك وجرف هار وهائر وأما مايسميه الكوفيون القلب نحو جبذ وجذب فليس هذا بقلب عند البصريين وإنما هما لغتان[٢] وقد ذهب ابن دستويه إلى انكار القلب من أساسه والف في ذلك كتاباسماه ابطال القلب وفي رأينا أن اعتبار البصريين لتعدد اللغات ناشيء عن أن حادثة القلب الصوتية قد ترجع في بعض الالفاظ إلى عهد بعيد جداً في تاريخ اللغة بحيث تأصلت كل واحدة من اللفظتين كمدح وحمد وجوب وجبذ في قبيلة من القبائل أو في معنى مختلف بعض الاختلاف عن معنى اللفظة الاخرى حتى بدت للباحث أنها لغات متعددة وتنوسيت الحادثة الصوتية التي هي قلب مواقع الحروف ولذلك فان اللغويين كما نقل السيوطي يرون أن ذلك كله مقلوب ولا يفرقون كما يفرق نحاة البصريين بين القلب واختلاف اللغات .

---

(٢) المزهر للسيوطي ج ١ ص ٤٨١

وعلى كل حال فان محاولة فقهاء اللغة قديماً تفكيك الكلمة وحلها الى أجزائها الصوتية التي هي الحروف فكرة بارعة ونظرة عميقة ثاقبة تدل على تفكير لغوي عميق عندهم بقدر ما تدل على ما في اللغة العربية من استعداد عظيم لهذه العمليات المخبرية وخصائص كامنة عريقة تذكرنا دوماً بمشابهتها للطبيعة التي أمكن ارجاع معادنها المختلفة الى نوع واحد لا يختلف الا في طريقة تركيبه الذري ولذلك فاني وان كنت أرى أن الاشتقاق الكبير في اللغة العربيه في عهدها الاخير الذي يمتد الى ماقبل بضعة عشر قرناً هو أضعف أنواع الاشتقاق وأقلها فائدة وجدوى من الوجهة العملية وأبعدها عن الوضوح والظهور للناظرين في اللغة فاني مع هذا أرى ضرورة ولوج هذا الباب واستشراف آفاق العربية البعيدة من هذا المرتفع ولكن الطريق وعرة لم تعبد وهي تتطلب رواداً يشقون الطريق بفكر ثاقب وبصر نافذ وقديماً قال ابن جني بعد أن سرد معاني مادة (ق و ل) بتراكيبها الستة « فهذه الطرائق التي نحن فيها حزنة المذاهب والتورد لها وعر المسلك ولا يجب مع هذا أن تستنكر ولا تستبعد فقد كان أبو علي رحمه الله يراها ويأخذ بها . . . وشاهدته غير مرة اذا أشكل عليه الحرف الفاء أو العين أو اللام استعان على علمه ومعرفته بتقليب اصول المثال الذي ذلك الحرف فيه فهذا أغرب مأخذاً مما تقتضيه صناعة الاشتقاق.. على أن هذا وإن لم يطرد وينقد في كل أصل فالعذر على كل حال فيه أبين منه في الاصل الواحد من

غير تقليب لشيء من حروفه فاذا جاز أن يخرج بعض الاصل الواحد من أن تنظمه قضية الاشتقاق كان فيما تقلبت أصوله فاؤه وعينه ولامه أسهل والمعذرة فيه أوضح »[1] .

وقد خص ابن جني هذا النوع من الاشتقاق بباب خاص جعل عنوانه « الاشتقاق الاكبر » فقال في أوله : « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع أعواز الاشتقاق الاصغر لكنه مع هذا لم يسمه وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه ويتعالل به وانما هذا التلقيب لنا نحن وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الاصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه وذلك كتركيب (س ل م) فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم ... وعلى ذلك بقية الباب اذا تأولته ... فهذا هو الاشتقاق الاصغر وقد قدم أبو بكر رحمه الله رسالته فيه بما أغنى عن اعادته ... وأما الاشتقاق الاكبر فهو أن تأخذ أصلا من الاصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما تصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب

---

(١) الخصائص ج ١ ص ١٠ و ١١

الواحد . »[1]

وأول من فكر فيما نعلم في حل الكلمة الى حروفها الاصلية الثلاثة ثم تقليب مواقع هذه الحروف هو الخليل[2] وعلى هذا الاساس رتب المعجم المنسوب اليه المشهور بكتاب العين في اللغة ولكن مبعث الفكرة عنده في رأينا ليس أنه يرى أن المقاليب الستة للكلمة الواحدة تدخل في باب اشتقاق واحد وترجع الى أصل واحد يجمعها بسبب اشتراكها في الحروف الثلاثة مهما يكن موقعها وترتيبها وانما الباعث له على هذا الترتيب فكرة احصائية رياضية وهي فكرة مسيطرة في رأينا على تفكير الخليل غالبة عليه وليس هذا الموضع محلا لشرح رأينا هذا في الخليل .

على أن اللغويين بعد ابن جنى ميزوا بين الاشتقاق الكبير وأطلقوا اسم (الاشتقاق الكبير) على ما سماه ابن جنى بالاكبر أي الذي يعتمد على الحروف الثلاثة دون تبديل فيها ولكن في مواقعها وترتيبها واطلقوا اسم (الاشتقاق الكبير) على ما يكون فيه اشتراك في بعض الحروف الثلاثة سواء أكان بين الحروف المتغايرة تشابه أو تقارب في المخرج أم لم يكن على القول الارجح مع وجود تناسب وتوافق في المعنى مثل (نفث ونفس ونفر) و (نعق ونهق) مما بحثناه مفصلا في موضعه

---

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٢٥

(٢) الخليل بن احمد الفراهيدى (١٧٥ هـ – ٢٠٤ هـ) .

ونحن نرى أن يتفق علماء اللغة في هذا العصر على متابعة ابن جني في تسميته لأنها أصح في نظرنا وذلك أن الاشتقاق القائم على المقاليب الستة قليل نادر بعيد عن واقع اللغة فتسميته بالاكبر أولى وأما الكبير فهو الاقرب الى واقع اللغة والاكثر امثلة وشيوعاً في العربية والادنى الى القبول ولكننا نؤثر السير على مصطلح اللغويين حتى يتم اتفاق الباحثين أو المجامع العلمية على هذا التبديل وذلك منعاً للالتباس .

❀ ❀ ❀

الأبنية او الأوزان

تشتمل الكلمة العربية على ثلاثة عناصر كل واحد منها موضوع بحث خاص ودراسة مطولة في فقه اللغة .

الاول: **المادة الاصلية** التي ترجع اليها الكلمة او الحروف الاصلية التي تتكون منها وهي أصل اشتقاقها ومادة بنائها ، وذلك مثل (ش ر ي . ق ط ع . ك ت ب) بالنسبة الى الالفاظ (**المشتري ، الانقطاع ، المكاتب**) والبحث في رد الكلمة الى اصلها ومعرفة الصلة بين الكلمة ومادتها هو موضوع **علم الاشتقاق** الذي تقدم الكلام عنه .

والثاني : هو **الهيئة** التي ركبت فيها حروف الكلمة الاصلية والزائدة و**البناء** الذي جمعت فيه أو القالب الذي صبت فيه هذه الحروف وهو الذي يعطي الكلمة صورتها وشكلها ويجعل لها جرساً ووزناً معيناً ويسمى **البناء** أو **الوزن** أو **الصيغة** .

والثالث : **معنى الكلمة** المتحصل من مادتها الاصلية وهيئة تركيبها واستعمالها العملي خلال البيئات والعصور التي عاشت فيها .

وبحثنا هذا يتناول العنصر الثاني من عناصر الكلمة وهو الوزن او البناء او الصيغة .

وإذا كان الاشتقاق في العربية جعل الفاظها تجتمع في مجموعات تشترك الفاظ كل واحدة منها في حروف أصلية ثلاثة وصنفها بحسب مادتها الاصلية فاننا نستطيع أن نصنف هذه الالفاظ تصنيفاً آخر تبعاً لوزنها وصيغتها بحيث نجعل هذه الالفاظ مثلا (سامع ، شارب ضارب ، قاتل ، كاتب ، قارىء ، جامع ، نافع ، ثائر . . . . الخ ...) في صف واحد وكذلك (مسموع ، مشروب ، مضروب ، مقتول ، مقروء ، مجموع .. الخ) في صنف آخر و (خبير ، وعليم ، وحزين ، ورفيق ، وحليم ، وبديع ، وجدير ، وسميع ، ونفيس . . . الخ) في صف ثالث والجامع بين الفاظ الصنف الواحد هنا هو شكل البناء أو الصيغة والوزن الموسيقي ويجمع بينها كذلك جزء من المعنى أو صفة من صفاته كالفاعلية في الامثله الاولى والمفعولية في الثانية والاتصاف بالخبرة والعلم والحزن والرفق ... الخ في الثالثة

ولو تأملت قول الرسول الكريم صلوات الله عليه (الولد مجهلة مجبنة مبخلة) لوجدت أن الالفاظ الثلاثة التي وصف بها الولد مشتقة من مواد مختلفة هي الجهل والجبن والبخل ولكنها على وزن واحد وفي شكل واحد من التركيب والمعنى الذي تفيده هو أن الولد يكون بالنسبة لوالده سبباً للجهل والجبن والبخل لما يسببه من انصراف أبيه اليه وخوفه عليه وتوفيره المال له فمادة الالفاظ هنا مختلفة ولكن

الصيغة واحدة ووجهة المعنى التي بها تخصص المعنى الاصلي للمادة وتحدد واحدة أيضاً وذلك على عكس المثال الثاني في قوله عليه السلام (من تطبب ولم يعرف بطب فهو ضامن) أي أن من مارس الطب ولم يعرف عنه أنه طبيب فهو ضامن لما يحصل للمريض من ضرر فكلمتا تطبب وطب تشتركان في المادة الاصلية (ط ب ب) ولكنهما تختلفان في الصيغة وفي وجهه المعنى فكلمة (تطبب) تفيد هنا ممارسة الطب وكلمة (الطب) تفيد المهنة. وكذلك قول الشاعر:

(أنا الليث معدّيا عليه وعاديا) فالكلمتان (معديّ عليه وعادي) مشتقتان من مادة (ع د و) المفيدة لمعنى التجاوز والعدوان ولكن الصيغة فصلت بينهما وخصت كل واحدة بمعنى من معاني الاعتداء فالاولى وهي صيغة المفعول (معديّ) عليه تدل على من وقع عليه العدوان والثانية (عادي) تدل على من وقع منه ويكون معنى قول الشاعر إنني أشبه الاسد في حالتيه حينما يعتدى عليه فيرد الاعتداء ويقابله وحينما يكون هو البادىء بالاعتداء فلا يأخذ إلا القوى المقتدر ويترك الضعيف الذليل.

وعلى هذا فان الالفاظ العربيه يمكن أن تصنف على وجهين أحدهما أن تصنف بحسب موادها وأصولها فتجمع الالفاظ التي ترجع إلى أصل واحد وتشترك في حروفها الاصلية في زمرة واحدة مهما اختلفت أشكالها وابنيتها وهذا ما فعله أصحاب المعاجم العربية في جمع الالفاظ

التي تتساوى أوزانها وتتماثل صيغها وأبنيتها مهما اختلفت اصولها وموادها كجمع الالفاظ الدالة على الآلة مثلا والمتشابهة في هيئتها وبنائها أو الدالة على الفاعل والتي هي على وزن فاعل من الثلاثيات والرابط بين الالفاظ في التصنيف الاول والعنصر المشترك بينها هو المادة الاصلية أو الحروف الثلاثة والمعنى العام الذي تؤديه هذه الحروف وأما في التصنيف الثاني فالرابط بين الالفاظ المجتمعة في زمرة واحدة والعنصر المشترك بينها هو شكل البناء والتركيب والوزن الموسيقي من جهة والمعنى الذي يتحصل من هذا البناء أو الوزن من جهة أخرى .

إن بناء الكلمة أو صيغتها أحد العناصر الاساسية في تكوينها فماذا تكسب الكلمة من بنائها أو صيغتها وماذا يقدم البناء أو الوزن للكلمة ؟ ذلك ما نريد أن نبحثه ونوضحه .

دلالة الابنية او معاني الصيغ :

إن صيغة الكلمة أو وزنها عنصر من العناصر الاساسية التي تحدد معناها ولولا ذلك لالتبست معاني الالفاظ المشتقة من مادة واحدة فالصيغة هي التي تقيم الفروق بين (كاتب ومكتوب وكتابة) وبين (شريك وأشتراك وشركة) فهي التي تخصص المعنى وتحدده كتحديد معني الفاعلية فيما كان على وزن فاعل من الثلاثي أو مفعِل من أفعل أو مفتعِل من افتعل الخ . . ومعنى المفعولية في أوزان اسم المفعول

أو معنى الطلب في استفعل كاستغفر واسترحم .

إن للابنية أو الصيغ في العربية دلالات وللاوزان معاني وقدهذه حاول فقهاء اللغة استخراج المعاني واستنباطها عن طريق التحري والاستقصاء فوفقوا في كثير منها ومن ذلك ما هو معروف مشهور كالاسماء المشتقة المذكورةفي كتبالصرف (اسم الفاعل وأسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل واسم الزمان والمكان واسم الآلة) وكاوزان الأفعال وتصاريفها المختلفة وبعض أنواع الجموع القياسية السالمة منها وغير السالمة ومنها ماعني به فقهاء اللغة مما لم يذكره علماء الصرف . واليك بعض أنواع من الابنية معدلالتها ومعناها :

فاعل وتدل على تعلق الفعل بمتعدد وعلى المنافسة . (**قاتل ضارب زاحم نافس طاول فاخر صارع صالح سالم شارك آكل ضاحك جالس خالط**) .

تفاعل وتدل على المشاركة وتعدد الفاعلين : (**تشارك تقاتل تضارب تزاحم تصالح تعارف تعاون تداعي** .)

وقد تدل على التظاهر بالشيء مثل : **تجاهل وتغابى وتحامق وتمارض وتغافل** وتدل على مطاوع فاعل **كتباعد وتضاعف** وعلى التدريج **كتناقص وتزايد**

تفعّل وتدل على مطاوع فعّل نحو كسرته **فتكسر** وقطعته **فتقطع** وتدل على أخذ الشيء بعد الشيء بتمهل مثل **تبصر وتفهم وتجرع**

وتحسس وتأمل وعلى تكلف الشيء أو ممارسته (تصبر . تفقه . تزندق . تفلسف . تدين . تطبب) .

فُعال تدل على الاصوات مثل : دعاء رغاء ثغاء عواء مطاء صراء صراخ ويستثنى من ذلك النداء والغناء .

فُعالة وتدل على البقايا أو على ماتحصل بسبب القيام بالفعل : كالحثالة والبراية والنحاتة والنخالة والنفاضة والقمامة والنقاوة والنفاية والخلاصة والصبابة والعصارة والسلافة والجراشة والنشارة والسلالة والجذاذة والحشاشة والفتاتة .

فِعالة وتدل على الحرفة كالصناعة والزراعة والتجارة والنجارة والحدادة والحياكة .

فعّال وتدل على مبالغة اسم الفاعل كشراب وقتال وعلى الحرفة كحداد ونجار وعلى النسبة الى الشيء وملازمته كعطار ولبان وسمان وفنان .

مَفعَلة تدل على المكان الذي يكثر فيه الشيء (مكلأة مقثأة مأسدة مقصبة) وعلى مايكون سبباً له (مجبنة مجهلة مبخلة منجاة مفازة مهلكة محرقة) .

فِعال : وتدل على الادوات والمرافق (لباس بساط زمام نطاق حزام لجام فراش اناء وعاء سقاء ...)

وقد ذكر ابن قتيبة في ادب الكاتب كثيراً من معاني الابنية ونقل عنه وعن غيره من المؤلفين السيوطي في مزهره فجمع من ذلك

مالم يجتمع لغيره من أمثلة الابنية وأورد معاني بعض هذه الابنية فارجع اليه إن أردت التوسع في هذا الباب .

ان الصيغ والاوزان بالنسبة للمفاهيم العامة المعبر عنها في العربية بالمواد بمثابة قوالب تصاغ فيها الالفاظ وتحدد بها المعاني الكلية أو المفاهيم العامة فاذا وضعت مادة (ق ط ع) في قالب من قوالب الابنية وصغتها على مقداره كأن جعلتها على بناء مِفعل فقلت مِقطع فقد أخرجت منها لفظاً يدل على آلة القطع وان قلت (مَقطع) على وزن (مفعل) فقد دللت على مكان القطع وان قلت (مقاطعة) على وزن (مفاعلة) فقد دللت على قطع الصلة بين اثنين أو جماعتين .

إن وجود هذه القوالب الفكرية العامة في اللغة العربية توفر على المتكلم والمتعلم كثيراً من الجهد ذلك أن في عالم الفكر معاني عامة كلية كالفاعلية والمفعولية والمكانيةوالزمانية والسببة والحدث أو الفعل والآلية ويمكن أن تزداد هذه المعاني الكليةأو القوالب الفكرية وان ترد اليها جميع المعاني الجزئية والتفصيلية فاذا جعلت للمكان من أي فعل من الافعال قالباً يعرف به سواء أكان الفعل كتابة أو قطعاً أو لمساً أو جمعاً أو قتلاً فقد سهل عليك أن تختصر القول وتفصح عن المراد وتفهم السامع فتقول (مكتب ، مقطع ، ملمس ، منظر ، مجمع ،مقتل) لتدل على مكان الفعل من هذه الافعال كلها وهذه هي وظيفة الصيغة

الفكرية وقيمتها المنطقية في اللغة وهي تدل على مافي العقلية العربية من نظرة منطقية تحليلية الى الاشياء .

تتركب الكلمة العربية: (١) من حروف أصلية هي في الغالب ثلاثة وقد تكون أربعة تحدد مادتها الاصلية التي ترجع اليها وتشتق منها و (٢) من حروف زائدة تقع في أول الكلمة أو حشوها أو آخرها أو في مواضع متفرقة منها سواء أكانت هذه الحروف الزائدة صوتية أو هوائية أي حروف مد و (٣) من حركات أو مدود قصيرة تتصل بحروفها الصوتية ولا فرق بين هذا النوع الثالث أعني الحركات والنوع الثاني أعني حروف الزيادة الا في أن تلك تسجل في الكتابة العربية وهذه لاتسجل عادة وقد استقصى علماء اللغة الحروف الزائدة وأحصوها فوجدوا أنها لاتخرج عن عشرة حروف جمعوها في قولهم (سألتمونيها) وإذا أضفنا اليها الحركات الثلاث واعتبرناها حروف مد قصيرة كان مجموعها ثلاثة عشر هي سبب تنوع الالفاظ المشتقة من مادة واحدة[1] .

وهذه الطريقة في تركيب الالفاظ واشتقاقها من موادها الاصلية

---

(١) ان الالفاظ : (عَلم . يعلم . علْم . علم . أعْلم . تعلم . استعلم . عالم . معلوم . معْلم . علام . عالم . عالمين .. الخ .) تشترك في مادة ع.ل.م ومرد اختلافها وسبب تنوع اشكالها الحروف الزائدة والحركات المتنوعة في كل منها وهي لاتخرج عن الحروف المجموعة في سألتمونيها مع الحركات الثلاث.

وتصريفها في أشكال متنوعة تختلف عن طريقة التركيب الالحاقي المعروفة في لغات أخرى كثيرة والتي تقوم على زيادة أحرف مخصوصة في أول الكلمة أو في آخرها للدلالة على معنى خاص يحصل بهذه الاضافة كاضافة (ant) في الفرنسية و (er) في الانكليزية للدلالة على اسم الفاعل واضافة (in) في أول الكلمة للسلب و (re) للتكرار و (tion) في آخرها للحدث و (ment) للحال في الفرنسية وقد تركب الالفاظ وتكون الكلمات في تلك اللغات بطريقة النحت من كلمتين بادغام أو دون ادغام ومثال ذلك في الفرنسية اسماء كثير من العلوم فهي منحوتة من موضوع العلم وكلمة (logie) وهي من اليونانية (logos) ومعناها الكلام أو كلمة (graphie) ومعناها الكتابة (psychologie, sociologie - géographie) وكالكلمات المبدوءة بهذه الاضافات (super, para, auto, trans) ومنها ما يكون دون ادغام مثل (الجد grand - peré وأخاف faire peur) وتختلف هذه الطريقة عن طريقة العربية وذلك أن الكلمة العربية تبدو كأنها اذيبت ثم صيغت وتوزعت أجزاؤها وحشيت أطرافها وأوساطها مع الاحتفاظ دوماً بمادتها الاصلية فخرجت في قالب معين ووزن محدود لايختلف من مادة الى أخرى فاسم الفاعل من المواد (فتح ، علم ، سمع كتب ، سلم ... الخ) لايختلف أبداً وكذلك من (أكرم ، أقدم ، أعلم ، اسمع) ومثل ذلك اسم المفعول وأفعل التفضيل وغيرها وليست

الحال كذلك في الفرنسية أو الانكليزية مثلاً فالالفاظ الدالة على الفاعل أو المفعول ليست من وزن واحد ولا من هيئة واحدة إذا نظر اليها بمجموعها فلا تشابه بينها في الزيادة المضافة في أولها أو آخرها وهذه الزيادة مع ذلك ليست دوماً متشابهة ولا مطردة ومثال ذلك اسماء المفعول في الفرنسية والانكليزية فكثير منها سماعي ليس بقياسي .

وقد تتأصل الاضافات في الكلمة في هذه اللغات حتى تتوهم اصالتها ثم يشتق من الكلمة كلمة أخرى باضافة زوائد جديدة حتى يضيع أصل الكلمة وتغرق الزوائد أصل المادة ومثال ذلك في الفرنسية فعل (émowoir) بمعنى حرك وهيج فقد اشتق منه اسم (émotion) بمعنى هياج النفس ثم اعتبروا هذا اللفظ أصلاً واشتقوا منه فعلاً بمعنى هيج (émotionner) زاحم الفعل الاصلي وهذه الظاهرة كثيرة الحدوث في الفرنسية ولا يحدث مثل هذا في العربية فالمادة الاصلية تبقى هي الغالبة والاوزان أو الابنية باطرادها تظهر الاصل من الزائد ولا يقع الالتباس لان طريقة التوليد بالصياغة والوزن على أوزان معهودة معروفة غير طريقة التوليد بالاضافات والزوائد التي لاحد تقف عنده .

وان الطريقة التي سلكها المتقدمون من علمائنا لمعرفة ابنية الالفاظ ومقابلتها باوزانها المعادلة لها هي في تحري حروف الكلمات الاصلية ومقابلتها بحروف (ف ع ل) ان كانت ثلاثية وبتكرار حرف (ل)

لمقابلة الحروف الاصلية التي تزيد على الثلاثة واما الحروف الزائدة في الكلمة فتؤخذ كما هي لتوضع في ميزان الكلمة مع المحافظة على حركات الحروف واليك بعض الامثلة الموضحة :

الكلمة : يكتب ـ كاتب ـ مكاتب ـ كتائب ـ استكتب ـ كُتّاب
الميزان : يفعل ـ فاعل ـ مفاعل ـ فعائل ـ استفعل ـ فُعّال
الكلمة : دحرج ـ ابيضّ ـ مناظر ـ نواظر ـ نظائر ـ مَريد (من مرد)
الميزان : فعلل ـ افعلّ ـ مفاعل ـ فواعل ـ فعائل ـ فَعيل

واذا كان في الكلمة اعلال او ابدال او ادغام وجب رد الحرف المعل او المبدل الى اصله وفك الادغام حتى يمكن معرفة وزن الكلمة وتركيب بنيتها كما تلاحظ ذلك في الالفاظ التالية :

الكلمة : مَدَّ (مدَدَ) ـ اتّقد (اصلها او تقدمن وقد) ـ
الميزان : فعَل ـ افتعل
الكلمة : مختار (اصلها مختيِر ان كانت اسم فاعل ومختيَر اسم مفعول)
الميزان : مفتعِل مفتعَل
الكلمة : مُريد (من اراد) مراد
الميزان : مفعِل مُفعَل

ولذلك فقد يحصل اختلاف بين علماء اللغة على وزن الكلمة تبعاً لاختلافهم في تعليل الكلمة وردها إلى أصلها كاختلافهم في سيّد هل

هي فعيل او فيعل وكالقول في حسّان فمن ردها إلى الحسّ قال وزنها فعلان ومن ردها الى الحسن قال فعّال ،

ولحركات الحروف في الميزان منزلة كمنزلة الزوائد وكثيراً مايتغير معنى الكلمة وصيغتها بتغيير الحركات من غير زيادة ولا نقصان في الحروف[1] .

الكلمة : أَسد . أُسْد . الجدّ . الِجدّ . عَلم . عُلم . عِلْم

الميزان : فعل . فُعل . الفعل . الفعل . فعل . فُعل . فِعْل

وذلك لان الحركات ليست إلا حروف مد قصيرة فحكمها في تصريف الكلام وبناء الالفاظ حكم حروف المد الزائدة ولكن العرب اثبتوا في الكتابة الحروف الاصلية الثلاثة مجردة من الحركات لثبوتها مهما تبدل شكل الكلمة بخلاف الحركات فانها كثيرة التحول والتبدل .

اوزان الابنية ووظيفتها الفنية :

ان صيغ الالفاظ يمكن ان ننظر اليها على انها ابنية مركبة على هيئة

---

(١) وقد جمع المتقدمون الالفاظ المتماثلة في الحروف والمختلفة في بعض الحركات في فصول او مؤلفات خاصة وبينوا مابينها من فروق في المعنى كالعَلاقة والعِلاقة والجد والجد والمؤخر والمقدم بالفتح مع التشديد او بالكسر مع التخفيف والسَداد والسِداد والحَمل والحِمل والخلف بالسكون والفتح انظر المزهر ، وذكر جملة من الفروق.

مخصوصة تتألف على مثالها حروف الكلمة الاصلية والزائدة ويمكن أن ننظر اليها من جهة اخرى على أنها اوزان موسيقية خاصة فإن جميع الالفاظ المبنية على هيئة (فاعل) مثلا هي من وزن موسيقى واحد وكذلك ماكان منها على وزن مفعل او مفعول أو فعيل أو فعول أو غيرها من الابنية . ان الكلمات التي تكون على بنية واحدة تجمعها رابطة الجرس والنغمة وتميزها في الكلام المسموع من غيرها من الالفاظ كما تجمعها أو تكاد رابطة التناظر التزييني في الكلام المكتوب وان كانت الاولى اوضح وأقوى . وهذه النغمة المشتركة بين الالفاظ التي تكون على وزن واحد تعين على استخراج المعنى المشترك بينها وتعين الطفل والمتعلم الغريب عن اللغة على معرفة جزء من معنى الكلمة وهو الجزء الذي يتأدى بالصيغة فاذا سمع الطفل او الغريب كلمة على وزن (فاعل) عرف انها تدل على من يقوم بالفعل (معنى الفاعلية) ولو لم يعرف مادة الكلمة إذا سبق له معرفة هذا الوزن أو معرفة عدد من الالفاظ على هذا النسق .

ولذلك كانت أبنية الالفاظ واوزان الكلم العربي وحدات موسيقية ترجع اليها جميع الفاظ اللغة العربية وكان الكلام في حال تركيبه سواء أكان شعراً أم نثراً مجموعة من التراكيب والوحدات الموسيقية إذا أحكم تركيبها وتولتها يد صناع وحس مرهف وفكر نافذ كانت إلى جانب ادائها للمعنى قطعة فنية موسيقية تسابق المعنى إلى القلب عن

طريق الحس والسمع حتى ان الكلام العربي ليبدو كأنه زخارف الفن العربي في صوره المتناظرة والمتكررة والمتشابهة والمختلفة وهذا هو سر موسيقية اللغة العربية وجمال ايقاعاتها وحلاوة نغماتها ولاسيما اذا وقع صائغ الكلام على أنواع موفقة من التأليف والمزاوجة بين الالفاظ ولا عجب إذا بلغت هذه الموسيقى ذروة الكمال في الكتاب العربي المبين الذي صاغه من صنع الطبيعة وجمالها .

وهذه الخاصة الموسيقية التي تتجلى في أوزان الالفاظ في اللغة العربية من الخصائص التي تميزت بها ولا نظير لها في اللغات الاخرى المشهورة فليس للالفاظ الدالة على اسم الفاعل أو على اسم المفعول من الافعال في الفرنسية أو الانكليزية وزن موسيقى مشترك أو نغمة واحدة لان طريقة هذه اللغات في تصريف الفاظها هي طريقة الالصاق والالحاق وذلك باضافة بعض الحروف إلى الكلمة في أولها أو آخرها فتنشأ من ذلك ألفاظ لا يجمعها وزن ولا تركيب متشابه وليس بينها من مشترك إلا وجود اصوات متماثلة في اولها او آخرها أضف إلى هذا أن كثيراً من القوالب المعنوية أو الصيغ في اللغة العربية لا يقابلها شيء مطلقاً في تلك اللغات كافعل التفضيل واسماء الزمان والمكان والآلة فانهم يتوصلون إلى الابانة عنها بجمل أو تعابير تتألف من أكثر من كلمة واحدة

وقد حاول بعض المتقدمين من فقهائنا كابن جني كشف الصلة بين معاني الصيغ واوزانها فبدت لهم في هذا الباب خواطر طريفة وملاحظات مفيدة ولكنها لا تصلح لان تكون تعليلا شافياً ، فمن ذلك ماوجدوه من مناسبة بين تشديد العين في فعال ـ مبالغة اسم الفاعل ـ وفي فعل وما تضمنه معناها من المبالغة والتشديد أو التكثير وكذلك ما بين وزن فعلان في حركاته المتوالية الكثيرة ومعنى الحركة والاضطراب الذي تدل عليه الفاظ (غليان وهيجان) وما في تشديد العين في تفعل من افادة التمهل والتدرج في مثل (تجرع وتبصر وتحسس)

الصيغ والاوزان في اللغة العربية
عددها ـ تصنيفها

لقد سبق القول انه يمكن تصنيف الفاظ العربية إلى زمر وانواع حسب اوزانها ولا يشذ عن هذه القاعدة من الفاظ العربية إلا الحروف والظروف الجامدة ولذلك لم تذكر لها صيغ واوزان حين ذكرت للافعال والاسماء التي حصرت فيها والحق هو أن الحروف وبعض الظروف كلمات جمدت على شكل من الاشكال ويعتقد أكثر الباحثين انها في الاصل مشتقة من الفاظ حية انقطعت صلتها بها بعد تطورها إلى هذه الاشكال الجامدة وما حاجتها إلى الصيغ مادامت منفردة بنفسها بانقطاع صلتها باصولها الاولى وبعقمها وانقطاع نسلها وانما الحاجة إلى

الصيغ للتوليد والتصرف في أشكال شتى على أن هذه الحروف والظروف الجامدة لا تعدم أن تكون ذات أوزان من الناحية الصوتية والموسيقية أو ان تكون هي نفسها صلات موسيقية بين الالفاظ إذ هي لا تعدو أن تكون حرفاً واحداً كالواو والفاء واللام والباء وهذه الحروف حين تتصل بالافعال أو الاسماء لا تفسد موسيقاها بل تكون صلة بين الاوزان أو تتصل بالوزن فتكون معه وزناً جديداً وتتوزع في أي كلام عربي توزعاً لا يفسد الانسجام ولا ينقصه أو أن تكون حرفين مثل (قد ، لم ، لا ، لن ، من ، في ، أم) وهذه تؤلف فاصلة موسيقية صغيرة تدخل في حشو الكلام وفي تضاعيف أوزان الالفاظ أو أن تكون ثلاثة أحرف وتكون في هذه الحالة ذات وزن موسيقي كامل مشابه لاوزان الاسماء أو الافعال وذلك مثل (على وألا = فَعَل وإلى = فِعَل) ومثلها ثم ورب وعند

وللعربية في تُوزيع حروفها ومدودها وحركاتها وسكونها في تأليف مفرداتها وتراكيبها نظم خفية وقوانين مستسرة جديرة بالعناية والبحث

عدد الابنية في العربية :

أخذ علماء اللغة والنحو منذ بدء تدوينها باحصاء الابنية في اللغة العربية فعدّ منها سيبويه (٣٠٨) مثالا عدا أُوزان الافعال وما زال البحث عنها يزيد في عددها حتى بلغ بها ابن القطاع المتوفي (٥١٥)ه

في كتـاب الابنية الذي ألفه (١٢١٠) من أنواع لابنية وقد نقل عنه االسيوطي في كتابة الجامع (المزهر) كما نقل عن غيره في القسم الذي خصصه للابنية بحثا واسعاً مفصلا ولكنه يحتاج إلى تصنيف وتنسيق لما فيه من المكررات بسبب تعدد المصادر التي نقل عنها السيوطي .

وأرى أن عدد الابنية المستعملة في اللغة العربية أقل من هذا العدد بكثير فإن كثيراً من الابنية التي ذكرها السيوطي لم يرد على وزنها إلا كلمة أو بضع كلمات وحبذا لو تقدم بعض الباحثين إلى هذا الركام الذي قدمه السيوطي كما جمعه ونقله ، وقام بدراسته دراسة احصائية تحليلية .

ونرى أن الابنيـة التي أحصاهـا السيوطي يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الابنية **الكثيرة الاستعمال** كابنيـة الافعال المعروفة وتصاريفها والمشتقات السبعة والجموع القياسية السالمـة منهـا وغير السالمة وهـذه الابنية مطردة **قياسية** ويمكن أن نقول عنها انهـا (**صيغ حية**) .

الثاني : الابنية **القليلة الاستعمال** وهي التي ورد على وزنها عـدد من الالفاظ يمكن عده واحصاؤه ولكنهـا وقفت عند هـذا الحد المنقول عن العرب دون زيادة فيها وذلك مثل (فَعالية : رفاهية . علانية . سواسية .... الخ)

و (فِعيل : سكير . صديق . غريد . شرير ... الخ)
(افعولة : أعجوبة . أسطورة . احدوثة الخ) ورأينا في هذا النوع
من الابنية أنه يحتمل وجهين أحدهما : أن هذه الابنية كانت حية
ثم جمدت ووقفت فيها الحياة وبقيت الكلمات التي ولدتها مستمرة الاستعمال
ولكن الصيغة التي ولدتها عقمت وثاني الاحتمالين أنها صيغ جديدة حديثة
المولد ولكنها لم تر النور حتى هاجمها النحاة واللغويون حين تدوين اللغة
والنحو وضبطوها على تلك الحال فحالوا بينها وبين المسير ووقفوا
دون نموها على اعتبار أنهم وجدوها عند أصحابها العرب هكذا
محدودة العدد ولم يراعوا أنها كانت في بدء نموها وأول نشأتها وأن
اللغة لو استمرت في حضن أهلها ولم تنتقل إلى اهل الصنعة من النحاة
واللغويين لنمت وترعرعت .

وفي هذا النوع من الابنية يقع الخلاف بين القائلين بالقياس
والقائلين بالسماع وكأن الحجة القائمة في نفوس القائلين بالقياس هي
أن العدد الوارد على وزن من الاوزان كافٍ لاعتبار هذه الصيغة
حية وإن كان ما نقل عن العرب من الامثلة على وزنها محدود .

ومن ذلك اختلافهم في فعّال للحرفة فقد قالوا أنها سماعية وقال
المبرد قياسية وقالوا إن مفعلة كمأسدة سماعية ورأى بعضهم قياسها
لكثرتها ورأى سيبويه أن مصادر الثلاثي سماعية ورأى الزمخشري

أنها قياسية لكثرتها[1] .

وإن خرق الناس لبعض قواعد النحاة واللغويين واقدام الكتاب في عصور العربية الزاهرة على استعمال ما منعوا قياسه من الصيغ دليل على حيوية تلك الصيغ كاستعمال الكتاب حتى اللغويين منهم صيغة مفاعيل جمعا لمفعول واستمرار هذا الاستعمال واستحكام ملكة من ذلك قولهم مشاهير — وقد استعملها صاحب القاموس في مقدمته ومواضيع ومجاميع ومشاريع وان البت على كل حال في قياسية بعض الصيغ المختلف عليها أمر يحتاج إلى درس وتمحيص

الثالث : من أنواع الابنية والصيغ هو النادر الاستعمال كالصيغ التي جاء على وزنها كلمة أو بضع كلمات وهو ما أسماه المتقدمون نوادر الابنية وأفرد له ابن قتيبة في أدب الكاتب والسيوطي في المزهر فصولاً خاصة ومثال ذلك وزن (فَعَلوت) وجاء منها ملكوت وجبروت ورحموت ورهبوت و (فُعّول) منها سبوح وقدوس و (فاعيل) ومنها قابيل وهابيل و آمين و (فِعْيَل) ومنها عثير وغرين و (فِعل) ولم يرد منها الا إبل (وإطل وهو الخصر وإبد لغة في

---

(١) راجع السماع والقياس لاحمد تيمور حيث تجد مصادر كثيرة للموضوع وفي الخصائص لابن جنى فصل في تعارض السماع والقياس . انظر كذلك كتاب الاقتراح في اصول النحو للسيوطي .

الابد وهما متروكتان) و (فِعّيلي) ومنها خِصّيصَى وبضع الفاظ أخرى .

ورأينا في هذا النوع من الابنية التي لم يرد على وزنها الا كلمة او كلمات قليلة جداً انها بقية باقية لصيغ كانت حيه ولكنها ماتت من عهد بعيد وقد ترجع الى العهد الذي كانت فيه اللغات السامية لغة واحدة أو لهجات متقاربة اذا صح أن اللغات السامية كانت لغة واحدة والرجوع على كل حال الى اللغات السامية الاخرى والبحث في صيغها وابنيتها ولا سيما في العصور القديمة يعين الباحث في هذا الموضوع وينير السبيل وثمة احتمالات أخرى منها أن بعض هذه الالفاظ غريب الاصل دخل اللغة العربية من عهد بعيد واحتفظ بصيغته الاجنبية ومنها أن بعض الكلمات دخل عليها تغيير في لفظها وتبديل في بعض حروفها أو حركاتها أو بعد العهد باصلها حتى نسي وجهل وظنت أنها أصلية وأخذ اللغويون يبحثون عن وزنها وبنيتها .

وبالجملة فان الابنية التي هي من هذا النوع يمكن أن نسميها أبنية ميتة وان نعتبر الالفاظ الباقية على وزنها من رواسب الماضي البعيد .

اوزان الاسماء والافعال

قسم اللغويون الابنية إلى قسمين أحدهما للاسماء والآخر للافعال

ولا شك أن ابنية الافعال محدودة واضحة المعالم تبلغ بضعاوعشرون بناء وقد زاد بعضهم فيها أوزانا ردها آخرون إلى الاوزان المعروفة وذلك مثل (تفوعل) تجورب و (تفيعل) تشيطن و(تمفعل) تمسكن و (تفعلى) تقلسي و (تفنعل) تقلنس وجمهور الصرفيين جروا على اعتبارها جميعا من باب تفعلل وان كانت الدقة تستوجب هذا التفصيل (راجع المزهر للسيوطي ج ٢ ابنية الافعال)

واما ابنية الاسماء فعددها كبير جداً وقد قدمنا القول في ذلك ولكن ما نحب ان نلفت النظر اليه هنا هو البحث عن وجود اوزان خاصة لكل من الاسماء أو الافعال أو انتفاء هذا الاختصاص .

ان بين أوزان الافعال والاسماء كما تبدو لنا في حالتها الحاضرة في لغتنا أوزانا مشتركة وان كان استعمالها في حشو الكلام يميز كلامنها بحركة الاعراب في آخره

الاوزان:	فَعَلَ	فَعِل	أفعل	فعلل	فاعَل
الاسماء :	جمل	حذِر	أسود ـ أعلم	جعفر	خاتم
الافعال :	كتب	عَلِم	أقدم ـ أعلمُ	دحرج	سابَقَ

وانما أردنا من ابداء هذه الملاحظة فتح باب البحث والتساؤل عن تعليل هذا الاشتراك وهل يرجع إلى عهد من عهود اللغة لم يكن التمييز فيه بين الاسماء والافعال واضحا . لا شك أن تخصص كل من

الاسماء والأفعال باوزان خاصة دليل على ارتقاء اللغة ودقتها في التعبير فاللغة التي لاتميز بين الاسماء — ومنها الصفات — والافعال تقع في التباسات كثيرة ولاسيما إذا خلت من الاعراب . واللغة العربية منذ عهد بعيد ميزت في صيغها وأبنيتها بين الأفعال والاسماء ونذكر بهذه المناسبة قصة أبي الاسود مع ابنته حين قالت ما أحسن السماءِ إذ خلطت بين أحسن التى هي اسم تفضيل وأحسن التي هي فعل استعمل للتعجب .

ويمكن أن نصنف الأبنية من جهة دلالتها على المفرد أو الجمع إلى أبنية خاصة بالجموع وذلك مثل فواعل وفعائل وفعالي وفعاعل ومفاعيل وأبنية خاصة بالمفرد وهي أكثر الابنية المسرودة في كتب اللغة مما سوى الابنية التي نص على كونها جموعاً [1] وأبنية مشتركة بين الجمع والمفرد مثل (فِعال) فقد تدل على المفرد ككتاب ولباس وجهاد وقد تدل على الجمع كرجال وكرام ومثل فُعل (أُسد — قُفل) وفِعلة (جِلسة — صبية) .

وقد أورد علماء الصرف وفقهاء اللغة ابنية الجموع وجعلوها أقساماً (سالمة وغير سالمة وجموع قلة وجموع كثرة) كما أورد علماء اللغة الألفاظ التي شذت عن القاعدة كأن يكون البناء للمفرد وتأتي منه ألفاظ تدل على الجمع وذلك كبناء فَعَل فقد ورد منها ألفاظ مخصوصة جمعاً لفاعل مثل (حرس ، خول ، سلَف ، عسس ، خدم ،

---

(١) مثال ابنية المفرد فُعال واستثنوا من ذلك عشر كلمات انظر المزهر ٢ ص ٧٢

همل)[١] أو أن يكون البناء للجمع وتأتي منه ألفاظ تدل على المفرد كوزن فُعَّل فقد جاءت منه ألفاظ معدودة ليست جمعاً مثل (حول، قلب، خلب، دمل، صلب، سلّم . .)[٢] قال ابن فارس ولم يوجد في كلام العرب أفْعُل غير هذا الحرف (آنك بمعنى الرصاص) وحكي عن الخليل أنه لم يجد أفعُلا إلا جمعاً غير أشد .[٣]

ونبه علماء اللغة كذلك الى ما كان خاصاً من الابنية بالاسماء وما كان خاصاً بالصفات وما استثني من ذلك فوزن فَعِل مثلاً لم يأت إلا صفة كحذر ودرد[٤] ووزن فُعَال للاسم كغراب والصفة كشجاع ووزن مفعِل للاسماء كمسجد وهو قليل في الصفات وفي الصحاح ليس في كلام العرب فِعْلى صفة وإنما هو من بناء الاسماء كالشعرى .

الالفاظ الاعجمية :

إن العرب إذا أدخلت لفظاً أعجمياً في لغتها فالغالب أنها تنقله إلى وزن من أوزانها (صراط = فِعال ، قرطاس = فعلال ، إقليد = إفعيل) . وقد يبقى على وزن خارج عن أوزان العربية وهذا هو الاقل والاندر كلفظ آجُرّ .

---

(١) المزهر ٢ ج ص ١١٥ (٢) المزهر ج ٢ ص ١١٦ (٣) المزهر ٢-١١٧ وقال لم يأت فعلاء صفة للواحد الا نفساء وعشراء (٤) المزهر ٢ ج ص ٥ (٥) المزهر ج ٢ ص ٥٣ و ص ٦٧

نظرة تاريخية تطورية

إن ما قدمناه من دراسة لابنية الألفاظ وأوزانها في اللغة العربية يعطينا صورة واضحة عن هـذا الجانب منها كما تبدو لنا في عصورها المعروفة ونصوصها المتداولة القديمة منها والحديثة وتبدولنا من هذه الدراسة الملاحظات التالية :

١) إن في اللغة العربية عدداً كبيراً من الصيغ أو الأوزان المتنوعة في أشكالها وهيئات تركيبها وفي دلالاتها ومعانيها منها المتقارب المتشابه والمتباعد المختلف وعلى مثالها وهيئتها وردت جميع ألفـاظ العربية الدالة على المعـاني أي كل ما سوى الادوات النحوية والروابط اللفظية .

٢) قد يدل الوزن الواحد في العربية على معان متعددة فوزن (فعيل) يدل على الصفة الثابتة في نحو (كريم وشريف وخبير) وعلى الصوت في نحو (صهيل وعويل وزئير) ويدل وزن (فِعال) على مصدر فاعل يفاعل (كقتال وسباق) وعلى أدوات وآلات في مثل (إناء وحزام) وعلى جمع فعيل أحياناً (ككرام ولئام وطوال) ويدل وزن (أفعل) من الافعال على متعدي فَعَل اللازم كأخرج وعلى وجدان الشيء على صفة كأحمده وجده حميداً وعلى بلوغ الشيء كأحصد الزرع بلغ أوان حصاده وغير ذلك من المعاني الكثيرة التي عددها ابن قتيبة في أدب الكاتب وغيره .

٣) قد يدل على المعنى الواحد أوزان متعددة فمبالغة اسم الفاعل تدل عليها صيغة (فعّال و مفعال وفعول وفعل و فِعّيل) وعلى الاصوات (فُعال وفَعيل) والالفاظ الدالة على الآلات والادوات وردت على أوزان متعددة منها (فاعول) وقد وردت على وزنها عدد من الكلمات كالخاطوف والساطور والقارورة والكانون والماعون والناقوس ووردت كلما أخرى على وزن (فِعال) كالعنان والشعار والدثار والرداء والازار والغطاء وأتت غيرها على وزن (مِفعل) كمبرد ومسن وأخرى على وزن (مِفعال) كمفتاح ولم يذكر النحاة إلا هذين الوزنين الاخيرين ولعل ماورد منهما أقل مما ورد على وزن فِعال .

٤) ومما يلاحظ أن الصيغ والاوزان التي استخرجها واستقصاها علماء اللغة ليست متساوية في استعمالها فبعضها بادي النشاط ظاهر الحياة وبعضها راكد جامد العروق ثابت في مكانه وبعضها الآخر ميت بعيد العهد بالحياة .

٥) وإلى جانب مالاحظناه من عارض الجمود وركود الموت في بعض الاوزان نلمح نشوء صيغ جديدة في عصور العربية بعد الاسلام وبعد العهد الذي بدىء فيه بتدوين العربية كالصيغة الناشئة من اضافة الالف والنون مع ياء النسب نحو روحاني وجسماني ومن اضافة ياء النسب مع التاء للدلالة على المذهب كالصوقية والسلفية والمادية والاشتراكية .

٦) وإذا التفتنا قليلاً إلى اللهجات العامية في البلاد العربية للاستنارة وتتبع بعض الظواهر لاحظنا ميل هذه اللهجات إلى ابتداع بعض الصيغ القريبة من القديمة والمشابهة لها أو ابدال الصيغة الدالة على معنى بصيغة أخرى وذلك كصيغة (تفعلن) في اللهجة الشامية (تكسلن . تحمرن) و(اتفعل) في اللهجة المصرية للافعال المطاوعة و وزن (فعَّال) مع تاء التأنيث وبدونها لتسمية الآلات والادوات الحديثة في كثير من اللهجات العربية وذلك نحو (سخانة وبراد وسماعة وغسالة ولقاطة ومساحة)[1] وكاستعمال وزن (فعيل) في اللهجة الشامية كذلك لمبالغة اسم الفاعل بدلا من (فعّال)[2] وقد دخلت بعض هذه الالفاظ في اللغة الفصحى ولم ينكر استعمالها أحد لامكان تخريجها على قواعدها وأصولها وذلك مثل (سيارة وبرّاد ودراجة ...)

★★★

ان ما تقدم من هذه الملاحظات والظواهر التي تبدو في أبنية العربية وأوزانها تدعونا لطرح السؤال التالي على بساط البحث والتأمل في الاجابة عليه :

---

(١) اهملنا في التمثيل الالفاظ العامية التي لاتتصل بالفصحى وهي كثيرة في اللهجة الشامية وذلك نحو (كماشة ونكاشة وفواشة ونفاضة) .

(٢) فيقولون فلان أكيل وشرّيب وشغّيل وسبّيح مع الابقاء على الفصحى الموروثة كسرّاق وكذّاب .

الا تدل هذه العوارض من تعدد الصيغ وتشابه بعضها وتعدد معانيها أحياناً واجتماعها أحياناً أخرى على معنى واحد وتناوبها عليه واختلافها حياة وجموداً وظهور صيغ جديدة ألا تدل على تبدل وتطور في الاوزان العربية وإن كان بطيئاً خلال العصور الطويلة سواء في شكلها ومبناها أو في دلالتها ومعناها ؟

إن الفكرة التي تبدو للمتأمل بادي الرأي في أمر الصيغ والاوزان في اللغة العربية هي أن هذه الاوزان كانت وما تزال منذ عهد الشنفري وامرىء القيس هي هي لم تتبدل ولم تتغير فالفاعل من كل مادة يدل على من فعل الفعل والمفعول يدل على من وقع عليه الفعل وهكذا الصيغ الاخرى فهي عنصر من عناصر الثبات والاستمرار والاتصال في اللغة العربية نقلت في قوالبها الرائعة الافكار والمعاني من جيل إلى جيل خلال عصور طويلة وذلك ما عجزت عنه كثير من اللغات إن لم نقل اللغات كلها وهذه الفكرة صحيحة سديدة ولكنها لا تمنع أن يكون ثمة تطور بطيء جداً نكاد لا نشعر به وهو لا يحول دون اداء الصيغ لهذه الوظيفة الرائعة ولا يشابه ما في اللغات الاخرى من تبدل سريع لا تفرضه الحاجة ولا تتطلبه الحياة يجعل اللغة لغات مختلفة ويقطع ما بين الاجيال .

إن دراسة الصيغ والاوزان في العربية لا تزال في مرحلة لا تسمح للباحث أن يرسم خط تطورها ويستخرج قوانين تبدلها خلال العصور . ذلك أن بلوغ هذه النتائج يستوجب دراسة شاملة واستقراء

تاماً للاوزان في جميع عصور العربية كما يستوجب الرجوع إلى دراسة الموضوع نفسه في اللغات السامية منذ عهودها الاولى التي كانت فيها على اتصال واشتراك ولم يقم أحد فيما نعلم بمثل هذه الدراسة وعلى هذا فكل مايقال وما يمكن أن نقوله في هذا البحث لايعدو كونه خواطر وافتراضات قد يصدقها البحث أخيراً أو ينفيها .

ويمكن القول أن التغير الطارىء على الاوزان في أطوارها المتعاقبة واقع على بنائها أو على معناها ومدلولها .

أما تطور بناء الاوزان وشكلها فهو الاقل وقوعاً والابطأ حدوثاً لما نلاحظه من ثبات اوزان العربية خلال عصور متطاولة ويرى بعض الباحثين[1] ان وزن (فاعيل وفاعول وفاعال) من اقدم الاوزان وان فاعيل بتطورها ولدت (فاعِل وفَعيل) ومنها تولد وزن (فَعِل) وان (فاعول) ولدت (فعول) وان (فاعال) ولدت (فاعَل وفَعال) ومنهما تولد (فَعَل) وليس لي ما اقوله نفياً أو اثباتاً في هذا الرأي الذي يحتاج في نظري الى تحقيق واسع .

أما تطور معاني الاوزان ودلالات الصيغ فهو أظهر وأوضح لما له من شواهد في عصور العربية المعروفة المدونة وهو أكثر وقوعاً واسرع حدوثاً ومن أبرز الامثلة على هذا النوع من تطور الاوزان ما ورد

---

(١) مقدمة لدرس لغة العرب لعبد الله العلايلي ص ١٧٠ .

للدلالة على الآلات والادوات فان أقدم الالفاظ التي تدل على ذلك وردت على وزن (فاعول) وهي محدودة قليلة ولكن العدد الاكبر منها جاء على لفظ (فِعال) كالالفاظ الدالة على الالبسة (ازار ورداء وخمار ونطاق وحزام ونقاب ولباس وغيرها) وكالالفاظ الدالة على مرافق وأدوات أخرى متنوعة (كاللجام والعنان والوعاء والسقاء والغطاء والفراش والكتاب والوقاء والقراب) وهي ألفاظ كثيرة وقديمة ترجع الى ما قبل الاسلام ، ثم نجد ألفاظاً على وزن (مِفعَل او مفعال) كمجنّ ومبرد ومفتاح، واذا انتقلنا الى العصور الحديثة وجدنا اتجاهاً في اللهجات العامية العربية الى استعمال وزن (فَعّال) للدلالة على الآلة المستحدثة فهل يعني هذا ان الدلالة على الآلة تبدلت الصيغة الدالة عليها خلال العصور من فاعول الى فِعال الى مفعل ومفعال الى فعّال (في العامية مع تخريجها في الفصحى) ، واذ كانت هذه الصيغ موجودة كلها فقد جرى التبدل في الانتقال من واحدة الى أخرى وأدى ذلك طبعاً الى ان الصيغ تتغير دلالتها وتتطور معانيها . ولكن الصيغة التي يتبدل معناها تبقى محتفظة بالمعنى القديم فتصبح ذات دلالتين أو تنتقل الى المعنى الجديد وتبقى الالفاظ التي صيغت على مثالها في الطور الاول على حالها ولكن عددها يبقى محدوداً فلا يزيد .

ولا شك أن تجاور المعاني وتداعيها سبب لانتقال الوزن أو البناء من معنى الى آخر من ذلك أن المبالغة في الفعل في صيغة (فعّال) تقتضي

شدة التلازم بين الفاعل والفعل ولهـذا استعملت للدلالة على النسب والحرفة ولو لم يكن منهـا فعل كالعطار من العطر والسمان من السمن والزيات من الزيت والفنان من الفن ومن هذا القبيل نشوء معنى السببية في صيغة (مَفعَلة) وهي في الاصل تدل على المكان فنقلت من الدلالة على المكان الى الدلالة على السبب واضيفت اليها التاء للتفريق .

وعلى هذه النسق من التأويل يمكن أن نقول إن الآلة التي تؤدي عملا أو يؤدي بها عمل من الاعمال تحدث ذلك النوع من العمل بكثرة ويكون بينها وبينه تلازم وبذلك يمكن أن يطلق عليها لفظ (فعّال) مشتقاً من نوع العمل الذي تقوم به كغسّالة وكسّارة لكثرة ما تغسل او تكسر وبرّاد لملازمته للبرد او لتبريده واحداثه للبرد .

أن دراسة ابنية الالفاظ في أطوارها الماضية وأشكالها الحاضرة في تاريخها رحاضرها تنير أمامنا السبيل للنظر في حل مشكلاتنا الحاضرة المتعلقة بهذه الناحية من لغتنا وتجعلنا نشرف على المستقبل ونحدد اتجاه المسير في هذا التطور المقبل .

ان الاسئلة التي تعرض اليوم للباحثين في موضوع أوزان الالفاظ وصيغها والتي عرضت من قبل للسابقين هي هذه :

١) هل لنا أن نأتي بصيغ جديدة ونبتدع أوزاناً مستحدثة لاداء حاجاتنا الفكرية الجديدة وما هي الطريقة اذا كان ذلك جائزاً وكيف تصاغ هذه الاوزان ؟

٢) هل لنا أن نحيي صيغاً حكم المتقدمون بجمودها أو موتها أو قالوا انها سماعية لا يقاس على مثالها وانما يكتفى بما ورد عن العرب من ألفاظ على وزنها كجمع مفعول على مفاعيل أو جعل (مَفْعَلَه) للمكان الذي يكثر فيه الشيء و (فُعال) للامراض فهل لنا ان نجعلها قياسية ؟

٣) هل لنا أن نتوسع في معاني الصيغ والاوزان المعروفة فننقلها الى معان أخرى أو نضيف الى معناها معنى جديداً ؟

انني سأقف هنا دون الاجابة على هذه الاسئلة لاني أعتقد أن الجواب العلمي عليها سابق لاوانه لانه يفترض انتهاء البحث في أصول الابنية وتطورها والحصول على معرفة واضحة كاملة لحاضرها وماضيها أما استعجال الجواب بالاستناد إلى ما اتضح لدينا من معرفة وما انفتح أمامنا من آفاق وتجمع لدينا من آراء فذلك مالا يستطيع المتأمل في هذا البحث أن يجازف بالقائه وان كان الخروج من هذا الموقف أمراً لا بد منه لاننا أمام مشكلة لغوية لا نستطيع إلا أن نحلها على وجه وإن سكتنا عنها لم تسكت الالسنة التي تقول والاقلام التي تكتب لتعبر عن هذه الحياة التي أصبحت غنية بالمعاني خصبة كثيفة معقدة [1]

---

(١) ممن تقدموا في ميدان هذه المجازفة العلمية مع اقراره بانها مجازفة الاستاذ عبد الله العلايلي فقد اعطى رأيه الاجمالي في الموضوع ثم سرد رأيه مفصلاً في معاني الصيغ وفي الصيغ التي يرى استحداثها ضرورياً. انظر كتابه مقدمة لدرس لغة العرب ص ٥٣ ـ ٩٦

تتمة

رأينا بعد الانتهاء من بحثي الاشتقاق والابنية اضافة بعض الآراء والملاحظات مما هو مشترك بين البحثين أو مما فاتنا ذكره في أحدهما :

١ ـ كان بحثنا في الاشتقاق دائراً على الثلاثي دون التعرض للرباعي والخماسي المجردين أي المؤلفين من حروف أصلية لا زيادة فيها وذلك لأن عددهما في العربية بالنسبة الى الثلاثي ضئيل جداً وقد ورد في العوبية عدد محدود من الافعال المؤلفة من اربعة حروف أصلية كدحرج ولم يرد منها من ذوات الخمسة الا مزيدة وأما الاسماء فقد جاء منها الرباعي المجرد والخماسي كذلك. وقد أفرد ابن فارس الالفاظ الرباعية والخماسية المجردة في معجمه مقاييس اللغة ووضعها في مكان مستقل في آخر كل مادة ورأي كثير من اللغويين انها ترجع الى الثلاثي فيرى الكوفيون إن الحروف الاصلية لا تزيد على ثلاثة وما زاد منها فليس بأصلي فيها [1] وقد حاول ابن فارس أن يعيد أكثرها الى الثلاثي عن طريق النحت قال في معجمه مقاييس اللغة [2] : « اعلم ان للرباعي

---

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٢١٣ .

(٢) ج ١ ص ٣٢٨ .

والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك ان أكثر ما تراه منه منحوت ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ.... فعلى هذا الاصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول ان ذلك على ضربين أحدهما المنحوت الذي ذكرناه والضرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس » ثم يزيد نوعاً آخر فيقول : « ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه لكنهم يزيدون فيه حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة كما يفعلون ذلك في زُرقُمَ وخَلبَن » .

وعلى هذا فان ابن فارس يرى أن الرباعي والخماسي إما أن يكون منحوتاً من كلمتين ومثال ذلك (بحثر) الشيء اذا بدده فهي منحوتة من (بحث) اذا طلب شيئاً في التراب و (البثر) الذي يظهر على البدن و (تخطرف) الشيء اذا جاوزه منحوتة من خطر وخطف أو أن يكون فيه حرف زائد كالميم في (بلعوم) وهي من بلِع و (العرمرم) من عرم والراء والميم زائدتان أو أن يكون وضع من الاصل على اربعة أحرف أو خمسة كالزخرف ولكنه يشير في بعض المواطن من معجمه الى أن هذا القسم الاخير قد يكون له أصل لم يهتد إليه كالمخضرم أو أن يكون لفظاً أعجمياً معرب كالخندريس .

٢ — ان النحت طريقة من طرائق توليد الالفاظ وهو قليل الاستعمال في اللغة العربية شائع في غيرها من اللغات الهندية الاوربية

على عكس الاشتقاق الذي هو القاعدة الاساسية في توليد الالفاظ في اللغة العربية وان ما رواه العلماء من الكلمات المنحوتة في العربية محدود العدد جداً كالبسملة والحمدلة وعبشمى في النسبة الى عبد شمس وكثير من هذه الكلمات حادث بعد الاسلام .

وقد يكون النحت طريقة كانت مستعملة في عصور العربية القديمة ومن تلك العصور بقيت هذه الألفاظ الرباعيـة والخماسية المنحوتة ولكن العربية فيا بعد اهملت هذه الطريقة في توليد الالفاظ الجديدة وسلكت طريق الاشتقاق وهي طريقة أدل على الحيوية وأشبه بطريقة توالد الاحياء في زيادتها ونموها بخلاف النحت فطريقته أشبه بطريقة الجوامد في زيادتها ونموها عن طريق اللصق والاضافة .

٣ — ان من المشتقات نوعاً لم يسمه القـدماء ولم يفردوا له بحثاً خاصاً وإن كانوا قد تعرضوا له في ثنايا أبحـاثهم وهو الاشتقاق من المشتق كقولك **تمسكن** و**تمذهب** و**تمنطق** وهي مشتقة من **مسكين** و**مذهب** و**منطق** وهـذه مشتقة من **سكن** و**ذهب** و**نطق** ونرى أن تسمي هذا النوع **الاشتقاق المركب** ومن هذا النوع ما يكون الاصل فيه ظاهراً مثل تمذهب من ذهب ومنه ما يكون خفياً فيخفى أصله الاول القديم ويبدو للناظر أصله الجديد المشتق كأنه أصل ومن هذا القبيل **مكين** و**تمكن** فهي مشتقة من المكان والمكان مشتق من كان والكون ولكن لكثرة استعمال لفظ المكان توهموا أصالة الميم

فيها وأجروها كما لو كانت من مادة (م ك ن) لا من (ك و ن) ولذلك فقد ذكرها صاحب لسان العرب في مادة (مكن) كما ذكرها في (كون) قال في مادة (كون) : « والمكان الموضع توهموا الميم أصلاً حتى قالوا تمكن في المكان وهذا يقويه ما ذكرناه من تكسيره على أمكنة » ونقل عن الليث قوله : « المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية » وقوله « مكان في أصل تقديرا لفعل (مفعل) لانه موضع لكينونة الشيء فيه غير انه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فَعال فقالوا مكنا له وقد تمكن وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن »[(١)] .

ومثل هذا يمكن أن يقال في مادة (مهن) ومنها المهنة وهي الحرفة فقد يكون الاصل القديم لها مادة (هون) ومنها هان يهون اذا صغر وحقر والمهانة الحقارة والحرف عند العرب محتقرة مع ان مادة مهن أصبحت مستقلة عن هان وأفردها أصحاب المعاجم في مادة خاصة .

٤ ــ ان المادة الاشتقاقية والبناء أو الصيغة تشتركان معاً في توليد معنى الكلمة وتحديده فالمادة الاصلية التي يكون منها الاشتقاق تعطي المعنى الاصلي العام للكلمة والصيغة أو البناء تحدده وتخصصه .

---

(١) راجع لسان العرب في مادة (ك و ن) و (م ك ن)والكافي في اللغة للشيخ طاهر الجزائري ص ٣٧

٥ ـ لكل كلمة أصل أو مادة اشتقاقية ووزن أو بناء وتوليد الكلمة من أصلها وأخذها من مادتها يسمى اشتقاقاً وتقليبها في أوزان مختلفة يسمى تصريفاً فالمادة تقابل البناء أو الوزن والاشتقاق يقابل التصريف وبين الاشتقاق والتصريف تشابك وتلازم وترابط قال ابن جني في كتابه المنصف : « وهذا القبيل من العلم أعني التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية لأنه ميزان العربية وبه تعرف الاصول من كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه ولا يوصل الى معرفة الاشتقاق إلا به »وقال : « وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسباً قريباً واتصالاً شديداً »[1] وأحدهما طريق الى معرفة الآخر فقد تكون معرفة وزن الكلمة طريقاً إلى معرفة أصل مادتها الاشتقاقية إذا كان الوزن فيها أظهر من مادة الاشتقاق وأقرب منالا كالاضطراب والاصطفاء والاستعداد فهي ظاهرة الوزن باديه الصيغة فالاضطراب والاصطفاء من باب الافتعال والاستعداد من الاستفعال وعلى هذا فأصولها (ضرب وصفا وعدد) وقد تكون معرفة الاصل الاشتقاقي طريقاً لمعرفة الوزن والبناء وسبيلا للتفريق بين الاوزان المتشابهة مع انها في الحقيقة مختلفة ومثال ذلك (المناعة والجاعة) فهما من (منع وجاع) ووزنهما اذن (فَعالة و مفعلة) و (والمرائح والمصائب) من (مرح وصوب) فوزنهما (فعائل ومفاعل) و (مشيد و مريد) من (شاد

---

(١) المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني ج ١ ص ٣٩٢

ومرد) فوزنهما (مفعول وفعيل) .

٦ — ان المادة الاشتقاقية والبناء أو الصيغة باجتماعهما في الكلمة العربية يعطيان اللغة العربية مزية المشابهة للطبيعة في أبرز خصائصها التي اكتشفها العلماء ذلك ان في الطبيعة تشابهاً ونمطية من جهة وذاتية واختلافاً من جهة أخرى فان ما فيها من الاشياء على اختلافها تتماثل أو تتشابه إذ ترجع الى أنواع وفصائل تتشابه أفراد كل نوع أو فصيلة في تركيبها وشكلها ولكن هذه الاشياء المتشابهة نفسها تختلف فيكون لكل منها ذاتية متميزة وكذلك ألفاظ العربية فان التشابه والتماثل ينشأ عن وحدة صيغها أو أبنيتها والكثرة والتنوع تظهر في أصولها الاشتقاقية والمواد الصوتيه التي تتكون منها وهي التي تجعل لها نوعية خاصة تميزها ثم يكون لكل فرد من النوع أي لكل كلمة من مجموع المادة الواحدة حياة خاصة تكون ذاتيتها الفردية .



معاني الالفاظ

سبق القول ان الكلمة تتكون من مبنى ومعنى وان مبناها يتألف من المادة الاصلية التي ترجع اليها تلك الكلمة ، وذلك ما يبحث في علم الاشتقاق ، ومن صيغة أو قالب تصاغ فيه ، وذلك ما ينظر فيه علم الابنية او الاوزان . وأما معنى الكلمة وماتدل عليه وترمز اليه بلفظها فهو موضوع بحث خاص لم يعن به قدماء اللغويين كما عنوا ببحثي الاشتقاق والابنية المتعلقين بشكل الكلمة ومادتها . على أن من العسير الفصل التام بين المبنى والمعني وإفراد كل منهما بالبحث دون ملاحظة الوجه الآخر ، فبحث الاشتقاق وردّ الالفاظ الى اصولها وجذورها لا بد ان يعتبر فيه المعنى ، وهو الذي يعين على معرفة الاصل ويدل عليه ، ومع هذا فان لمعاني الالفاظ آفاقا خاصة ومجالات واسعة للبحث. ولذلك افرد علماء اللغة من اهل هذا العصر بحثا خاصا لمعاني الالفاظ بل ان اتساع هذه المباحث وتفرعها دعاهم الى تخصيصها بعلم مستقل من علوم اللغة عرف في اللغات الاوربية باسم خاص وهو (Sémantique) أي علم معاني الالفاظ او علم الدلالة اللفظية .

والواقع أن علماء اللغة قديما في كل الامم عنوا اكثر ما عنوا بمباني

الالفاظ وتركيبها كالبحث في اصولها واشتقاقها وصيغها الصرفية وابنيتها ولم يولوا معانيها ما تستحق من العناية مع أن القصد من اللغة والفاظها التعبير عن المعاني والافكار ، ولكنهم لم يعنوا الا بما يكون للعناية به اثر في تصحيح اللفظ وتقويم اللسان وصحة الاعراب وصواب الاستعمال وما الى ذلك من أهداف عملية ، فعنوا بالبحث في المعنى بمقدار ما يكون له من أثر في هذه النتائج العملية .

على أن علماء العربية من أسلافنا عالجوا كثيراً من المسائل المتعلقة بمعاني الالفاظ وبلغوا من بحث مشكلاتها وقضاياها ما لم يبلغه علماء اللغات الاخرى في العصور السالفة .

ان أول ما ألف في العربية في باب اللغة تلك الرسائل التي جمع فيها رواة اللغة الالفاظ التي ترجع الى موضوع واحد كالابل والخيل والشجر والنبات والانواء ، وليس هذا العمل الا تصنيفاً للغة بحسب الموضوعات والمعاني. وكان ذلك بداية انتهت الى المعاجم الكبرى الجامعة التي رتبت على اساس معاني الالفاظ لا على أساس الاصول والمواد كالمخصص لابن سيده الاندلسي ، وهو يقع في سبعة عشر جزءاً صنف فيه مؤلفه اللغة تصنيفاً راعى فيه الموضوعات فوضع ما يتعلق بالسماء والنجوم مثلا في فصل ، وكذلك الارض واجزاءها ، والانسان وما يتعلق به من أسماء أعضائه الى اخلاقه وصفاته . ولا شك ان هذا العمل الضخم يضع بين أيدينا صورة شاملة للغة العربية ومصوراً مفصلا

لاجزائها نعرف منه مقدار عنايتها بكل جانب من جوانب الوجود، سواء في النواحي المادية أو المعنوية ، ومبلغ توسعها أو اختصارها في كل ناحية منها[١] .

والمعاجم الاخرى المرتبة على المواد ملأى كذلك بما يتعلق بمعاني الالفاظ في شرح المفردات الواردة في كل مادة من موادالمعجم ولكنها لا تراعي في ذلك أي ترتيب ،فلا ترتبها بحسب زمن ظهورها ومراحل تطورها وتفرعها ، ولا تذكر العهد الذي استعملت فيه الكلمة بمعنى من معانيها وتحدده، وهي لاتورد الا نادراً المعاني التي حدثت للالفاظ من بعد القرن الاول للهجرة مما جدّ في العصر العباسي وما بعده في كتابات الكتاب ومصطلحات الدواوين واستعمالاتها الخاصة ، ولا تعلل غالباً تعدد معاني الكلمة الواحدة أو تحاول الربط بينها ،اذا استثنينا **مقاييس اللغة** لابن فارس وهو في نوعه مثل رائع للمعاجم التي تعني بمعاني الالفاظ ومحاولة الربط بينها واعادتها الى اصول قليلة تفرعت عنها وقد وفق في ذلك الى حد بعيد .

ويمكن أن نعتبر جميع المعاجم التي جمع فيها أصحابها الفاظاً اصطلاحية خاصة ،كالتعريفات للسيد الجرجاني،أو نوعا خاصا من الالفاظ

---

(١) ومن هذا القبيل كتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ ولكنه مختصر .

كألفاظ القرآن أو الحديث، من المواد الأساسية لدراسة معاني الالفاظ.

هذا وإن في كتب علمائنا الاقدمين مباحث متفرقة هي في الصميم من مباحث دلالة الالفاظ ومعانيها، كالمترادف والمشترك والاضداد والخاص والعام والحقيقة والمجاز والمولد والالفاظ الاسلامية. وقد خصص السيوطي في المزهر فصولا لهذه الابحاث؛ ومن هذا الباب ايضاً الفروق التي أفردها ابو هلال العسكري بمؤلف خاص طبع مختصره. ولكن العجيب الطريف ان كاتبا توفي في (٣٢٢ هـ) الف كتابا في تطور معاني الالفاظ في جزئين جمع فيه عددا من الالفاظ الاسلامية ودرسها دراسة تطورية تاريخية، وتتبع معانيها من العصر الجاهلي حتى العهد الاسلامي، وهو الشيخ ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي في كتابه الذي سماه الزينة وقد طبع حديثاً في القاهرة في جزئين.

أما في العصر الحديث فقد ارتقت مباحث معاني الالفاظ، ذلك أن علوما عديدة تظاهرت على هذا الارتقاء واعانت عليه؛ فعلم الاصوات اللغوية كشف عن وظيفة الاصوات التعبيرية، وعلم النفس اوضح الصلة الواقعة بين التفكير والشعور من جهة واللغة من جهة اخرى، واتسع البحث في المجاز والحقيقة، وانتهى ذلك كله الى نشوء علم خاص باسم علم دلالة الالفاظ في اواخر القرن التاسع عشر وظهر اسم هذا العلم (Sémantique) في مقال كتبه ميشيل بريال M. Bréal في سنة ١٨٨٣؛ ثم ظهر كتاب ذاعت شهرته بعنوان (حياة الالفاظ)

لدارمستتر Darmesteter في سنة ١٨٨٧. وبعد عشر سنين نشر بريبال كتابا في دلالة الالفاظ ثم توالت الكتابات في هذا الموضوع وتحت هذا الاسم حتى بلغ علم الدلالة درجة الرشدعلى تعبير(اولمان) الاستاذ المحاضرفي جامعة كلاسكو بظهور كتاب(نيروب Nyrop)في عام١٩١٣ بعنوان: نحو اللغةالفرنسيةالتاريخي Grammaire de La langue française وقدخصص الجزء الرابع منه لدلالةالالفاظ وطبع في كوبنهاج. وظهرت كتب كثيرة في هذا الموضوع في هذه الاعوام العشرة الاخيرة في مختلف اللغات ، ومن أحدثها كتاب الاستاذ اولمان Ulmann الذي اخرجه بالانكليزية في عام ١٩٥١ بعنوان (**المبادىء الاساسية في دلالة الالفاظ** Principles of semantics) ثم اوجزه في كتابه الآخر الذي كتبه باللغة الفرنسية بعنوان (**موجز في دلالة الالفاظ في اللغة الفرنسية** Précis de sémantique française) واخرجه في سنة ١٩٥٢ وقد وجدته من اجمع ما كتب في الموضوع ، واحسنها ترتيباً ، وقد اشتمل على نظرة للمؤلف في معاني الالفاظ مستخلصة ومستنتجة من مختلف الآراء والنظرات التى اخذ بها الذين الفوا وكتبوا في هذا الميدان الجديد .

وقد اخرج الدكتور ابراهيم انيس اول كتاب وضع في اللغة العربية في علم الدلالة في سنة ١٩٥٨ بعنوان (دلالة الالفاظ) وهو كتاب جيد جامع متنوع المباحث ، ألم بما كتب قديما في اللغة العربية

وما كتب حديثاً في اللغات الاجنبية وخاصة في الانكليزية .

قيمة البحث في دلالة الالفاظ ومعانيها :

تتوقف كثير من قضايا الحياة على فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً ؛ ففي ميدان الحقوق والقانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الالفاظ، في المعاهدات الدولية والاتفاقات التجارية والمعاملات الاقتصادية ؛ وفي ميدان الدين وخاصة في الفقه الاسلامي تحتل النصوص موقعاً خاصاً ، ويتعلق على فهمها تحديد الافكار في العقائد والاحكام في قضايا المعاملات والعبادات ، ويقع لذلك الاختلاف في فهم مراد الشارع وتحديد معاني الالفاظ في القرآن والحديث . ولذلك عني علماء اصول الفقه بكثير من مسائل الالفاظ ودلالاتها وبحثوا في العام والخاص والحقيقة والمجاز والمشترك والمترادف مع انها من مسائل علم اللغة لان استنباط الاحكام من النصوص منوط في كثير من الاحيان بتحديد الرأي في فهم هذه المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها .

ولابن جنى في هذا الباب كلام يدل على نفاذ فكر ودقة فهم، وذلك قوله : « إن اكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة اليها ، فانما استهواه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطبت الكافة بها ؛ واصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه منها ، وذلك انهم لما سمعوا قول الله سبحانه وعلا عما يقول الجاهلون علواً كبيراً

(ياحسرتى على مافرطت في جنب الله) وقوله عز اسمه (فاينما تولوا فثم وجه الله) وقوله (لما خلقت بيديّ) وقوله تعالى (مما عملت ايدينا) وقوله (ويبقى وجه ربك) وقوله (ولِتصنع على عيني) وقوله (والسموات مطويات بيمينه) ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى ، وقوله في الحديث (خلق الله آدم على صورته) حتى ذهب بعض الجهال في قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) انها ساق ربهم ، ونعوذ بالله من ضعف النظر وفساد المعتبر ، ولم يشكّوا أن هذه أعضاء له واذا كانت اعضاء كان هو لامحالة جسماً معضّى ، على ما يشاهدون من خلقه عز وجهه وعلا قدره وانحطت سوامي الاقدار والافكار دونه . ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها أو مزاولة لها لحمتهم السعادة بها ما اصارتهم الشقوة اليه بالبعد عنها . وطريق ذلك أن هذه اللغة اكثرها جار على المجاز وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة . وقد قدمنا ذكر ذلك في كتابنا هذا وفي غيره . فلما كانت كذلك وكان القوم الذين خوطبوا بها اعرف الناس بسعة مذاهبها وانتشار انحائها جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها وفهموا اغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعادتهم في استعمالها وذلك أنهم يقولون : هذا الامر يصغر في جنب هذا ، أي بالاضافة اليه ، فكذلك قوله تعالى : (ياحسرتى على مافرطت في جنب الله)أي

فيما بيني وبين الله اذا أضفت تفريطي الى أمره لي ونهيه اياي ...[1]» .

ونضيف الى ماتقدم من تعلق فهم النصوص ببحث دلالة الالفاظ أن تذوق النصوص تذوقاً سليماً ، ومعرفة مواقع الالفاظ ، وتمييز مواطن الجمال ومواضع الدقة ، وبراعة القول فيها ، يمكن أن يعين على حصول ملكته وتنميتها الاطلاع على هذه المباحث اللطيفه من علم اللغة ، مباحث دلالة الالفاظ ، وما يكون للفظ من معان متعددة تتناوب في الظهور بحسب سياق الكلام ، وما يلقيه الاستعمال على اللفظ من ظلال وألوان ، ومايتعاقب عليه خلال العصور من معان ، وبذلك يعين هذا الفرع من علوم اللغة النقد الادبي على اداء وظيفته بما يمده به من نظرات وخبرة في قوانين الالفاظ .

على أن البحث في معاني الالفاظ لاتقتصر فائدته على مثل هذه الفوائد العملية والثمرات الادبية ، فان له مع ذلك نتائج علمية وقيمة نظرية ، ذلك أنه طريق لكشف بعض الحقائق المتعلقة باللغة وصلتها بأهلها ، بعقليتهم وبيئتهم وعاداتهم . فإن فهم لغة من اللغات يتوقف بداهة على معرفة مفرادتها وتراكيبها ، وليس من اليسير فهم مفردات الالفاظ ومعرفة ماتنطبق عليه وما يدخل في مدلولها وما لايدخل فيه ، وما أكثر ماينخدع المرء بظاهر اللفظ في لغة من اللغات حتى يُدخل تحت هذا اللفظ مالا يدخله فيه أهل تلك اللغة أو أهل عصر بعينه .

---

(١) الخصائص ج ٣ ص ٢٤٥ .

وقد ينخدع باستعمال عصره للفظ من الالفاظ فيحمّل هذا اللفظ، حين يرد في نص قيل في عصر آخر، المعنى نفسه، مع أنه قد يختلف اختلافاً كبيراً[1]. ولهذا كان من العسير أن يقابل لفظ في لغة اللفظ المقابل له في لغة اخرى في جميع المعاني بحيث يتطابقان في جميع مشتملاتهما وجزئياتهما،[2] ومن هنا تأتي استحالة الترجمة .

عقلية الشعوب في مفردات لغتها :

ان البحث في دلالة الالفاظ ومعرفة قوانين اللغات وسننها في قرن الالفاظ بمعانيها، وتبدلها وتطورها وأسباب ذلك، يعين على فهم اللغة فهماً عميقاً، كما أنه، من جهة اخرى، يكشف عن مدى الارتباط بين اللغة واصحابها بوجه عام ويعين على تحديد مفاهيم عصر بعينه وبذلك يستطيع ابن اللغة أن يتعرف الى عقلية أسلافه ونفسياتهم كما يستطيع بمثل هذه الدراسة أن يتعرف الى عقلية الشعوب الاخرى بدراسة لغاتهم دراسة تحليلية تعتمد على الخصوص على مفاهيم الالفاظ،

---

(١) كخطأ بعضهم في لفظ **ترجمة**، في مثل قول المحدّثين تراجم البخاري بمعنى عناوين ابواب كتابه الجامع الصحيح، وظنه انها بمعنى النقل من لغة الى اخرى مما نشأ عنه آراء مضحكة؛ وكاختلاف معنى déjeuner و diner في اللغة الفرنسية في الحاضر عن معناها القديم .

(٢) كتقابل لفظ (عم) العربية للفظ (Oncle) في الفرنسية وهي تفيد (العم والخال) وكلمة Socété وهي تفيد معنى كلمتي (شركة) و (مجتمع) في العربيــة .

بالاستعانة بما يقدمه علم الدلالة من قوانين وما يفتح من آفاق . ومن الشواهد على ذلك لفظ **الصديق** في العربية وهو مشتق من الصدق و**العدو** وهو مأخوذ من العدوان في حين أن كلمة ami = صديق في الفرنسية مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة و ennemi = عدو لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي بمعنى البغض ويدل ذلك على أن مفهوم العرب للصديق مبني على فكرة الصدق في المعاملة ومفهومهم للعدو مستند الى فكرة العدوان والظلم، بخلاف مفهوم الفرنسيين في بنائهما على أساس الحب والبغض . ولفظ **عقل** في العربية مأخوذ من العقل بمعنى الربط والتقييد ، ويدل ذلك على أن في معنى العقل عند العرب مفهوماً خلقياً بالاضافة الى العنصر الفكري فهو يعقل عن المنكر أو الشر . ولا يدل لفظ raison الفرنسي على مثل ذلك ، فان أصل معناه العد والاحصاء. ولفظ **الانسان** والناس — على رأي اكثر اللغويين وهو الصحيح — مشتق من الأنس وهو ضد الوحشة، وبذلك يكون العرب قد جعلوا المميز الفاصل بين جنس الانسان وغيره أنه الوف مستأنس أي اجتماعي. ولفظ (**الجار**) والمجاورة مأخوذ من أجاره اذا رفع عنه الجور وهو الظلم، ودخل في جواره أي في حمايته، فليس العنصر الاساسي في المجاورة المصاقبة في المسكن، وهي علاقة مادية، بل في علاقة معنوية خلقية هي الحماية ومنع الظلم .

وان طريقة كل قوم في تسمية الأشياء تدل على نظرتهم اليها ،

وتكشف أحيانا عن بيئتهم التي يعيشون فيها، أو عن عاداتهم التي ألفوها؛ كقول العرب : **شفى غليله** — والغليل العطش — **وأقر الله عينه** — والقُرّ البرد — **وسقى الله عهده**؛ وكلها تدل على التطلع الى الماء والبرد؛ وذلك نعمة عند العرب يسعى اليها .

وعلى هذا يكون علم الدلالة العام Sémantique générale طريقاً الى معرفة قوانين اللغات، من تطور معاني الالفاظ وأسباب تبدلها، والصلة بين اللفظ ومدلوله، وصلة اللغة باصحابها بوجه عام؛ وعلم الدلالة في لغة من اللغات طريقاً الى معرفة اسرار تلك اللغة وطرائقها الخاصة في تسمية الأشياء وتطور الفاظها ومعانيها، ووسيلة لمعرفة عقلية الشعب الذي يتكلم بها وبيئته وعاداته وثوراته ومراحل تفكيره .

ملاحظات حول دراسة معاني الالفاظ

١ — دراسة الالفاظ حية في نصوصها :

إن الألفاظ لا تعيش منعزلة بل في متون النصوص مجتمعة مركبة مع غيرها من الالفاظ ؛ ولذلك كانت دراستها مجردة منفردة دراسة عقيمة غير منتجة، فيجب أن يستنتج معناها أو معانيها المتعددة من مجموع النصوص التي تحدد استعمالها وتمكننا من ضبط معناها ضبطاً دقيقاً .

٢ — الدراسة التاريخية التطورية :

يمكننا أن ندرس كلمة من الكلمات في عصرنا، ونحصي استعمالاتها

ونحدد معناها أو معانيها، وذلك بجمع نصوص كافية من كلام هذا العصر الذي نعيش فيه، فتكون دراستنا هذه دراسة وضعية لواقع اللغة في عصرنا. ولكن الكلمات التي نستعملها اليوم لها تاريخ سابق وحياة قد تكون طويلة، وقد يكون معناها الحالي مغايراً لمعانيها القديمة، لذلك وجب الاخذ بطريقة الدراسة التاريخية التطورية التي تدرس الالفاظ على تعاقب العصور وفي مختلف الاطوار التي مرت بها.

٣ — النظرة الشاملة للمفردات

ان الاكتفاء بدراسة عدد من الألفاظ لايغني كثيراً في معرفة خصائص لغة من اللغات ؛ فقد يكون معنى من المعاني موزعاً بين الفاظ كثيرة في تلك اللغة ولو اكتفينا بدراسة بعضها لخيل الينا أن هذه اللغة قاصرة عن اداء ذلك المعنى. ان دراسة مفردات اللغة بجملتها ومجموعها هي التي تعطي صورة صحيحة عنها، وفكرة عن غناها أو فقرها، وعن ميلها الى الحسيات أو المعنويات، وغلبة الدقة والتفصيل أو التعميم في تسمياتها ومعاني الفاظها، وتوسعها في ميدان من ميادين الطبيعة أو الفكر أو العاطفة أو اقتصارها وفقرها. وان في كثرة الالفاظ الدالة مثلا على الحرب أو الحب أو الخيل أو الابل أو العلاقات الاقتصادية أو على نظام الدولة أو على العواطف الانسانية أو الفضائل الخلقية مجالاً واسعاً للاستنتاج وتحديد اتجاهات الشعب الذي يتكلم

تلك اللغة وعقليته ونفسيته وتاريخه وبيئته الاصلية وصلاته بغيره من الشعوب .

دلالة اللفظ على المعنى

استعمل البشر من القديم اشارات ورموزاً تدل على معاني في اذهانهم أو تشير وترمز الى أشياء مادية، ولاتخرج الفاظ اللغة عن أن تكون رموزاً يشير بها كل جماعة الى معاني الاشياءالتي يقصدونها. ولو حللنا عملية الكلام أي اتصال انسان بآخر عن طريق اللغة لوجدنا ثلاثة عناصر أساسية :

أولها اللفظ أو الصورة الصوتية وهو ما أحدثه المتكلم والقاه من الالفاظ بدافع خارج عن اللغة دفعه الى ذلك .

وثانيها المعنى أو الصورة الذهنية التي أثارها الكلام في ذهن السامع وهو صورة متكونة في ذهنه ومنتزعة من تجاربه الحسية ومجردة من مجموع الأمثلة والحقائق الخارجية التي صادفها في حياته سواء بالنسبة للاشياء المادية كالشجرة والكتاب أو المعنوية كالعدل والحقد .

وثالثها الشيء المعنيّ أو الصورة الخارجية المقصودة .

فاللفظ الدال والمعنى المدلول (عليه) والشيء الخارجي المقصود الذي ينطبق عليه المعنى هي العناصر الثلاثة التي تتألف منها عملية الكلام أو الاتصال اللغوي .

والفرق بين اللفظ و الكلمة ان اللفظ يشير بوجه خاص الى الناحية الصوتية من الكلمة وأن الكلمة تشير اليها والى المفهوم المعنوي للفظ معاً . وقد لاحظ هذا المعنى نحاتنا القدماء حين عرّفوا الكلمة بانها لفظ مفيد لمعنى . على أن العرف جرى على استعمالهما في معنى واحد واعتبارهما مترادفين والاغضاء عما بينهما في الاصل من فرق دقيق .

ويتبين من شرحنا هذا أن اللفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه .

ويكون الانتقال الى الاشياء الحسية عن طريق هذه الصور الذهنية أو المفاهيم أو المعاني القائمة في أذهان الناس والمتكونة فيها بنتيجة تجاربهم . ان هذه المعاني هي الجسر الموصل بين عالم الاسماء (اللغة) وعالم الاشياء وما أكثر ماتحل المعاني التي اصطنعها الانسان وجردها عن الاشياء محل الاشياء الحقيقية نفسها !

وعلى هذا فالدلالة هي اثارة اللفظ للمعنى الذهني اي لمدلوله ، وبين اللفظ والمعنى في كل لغة اثارة متبادلة وتداعٍ مستمر ، وعلم اللغة يبحث في هذه الصلة بين اللفظ والمعنى في أحد فروعه المخصص لهذا المبحث والمعروف بالفرنسية باسم Sémantique أي مبحث الدلالة أو علم دلالة الالفاظ . وعلى هذا فالدلالة ليست مرادفة للمعنى في الاتصال اللغوي اي نقل الافكار عن طريق اللغة رمز دالّ هو اللفظ ومدلول

هو المعنى و **دلالة** وهي الارتباط بينهما والعلم الباحث في صلات الالفاظ بعضها ببعض هو **النحو** والباحث في ما بين المعاني من صلات هو **الفلسفة** وخاصة المنطق والعلم الباحث في ما بين الالفاظ والمعاني من صلات هو مبحث **الدلالة** من علم اللغة .

الفاظ المعاني و الفاظ الارتباط

وقبل البحث في معنى اللفظ لا بد من بيان أن الالفاظ التي هي موضوع بحثنا هنا هي الفاظ المعاني (Sémantème) وهي الالفاظ التي تدل على معنى بذاتها أي على مفهوم مستقل . وفي اللغة الفاظ من نوع آخر لا تستقل بذاتها و لا تدل على مفهوم مستقل وانما هي أدوات تربط بين الفاظ المعاني أو تحددها وتخصص معناها نوعا من التخصيص كالحروف و بعض الظروف والضمائر فهي الفاظ ارتباط أو أدوات (Morphème) ؛ على أنها في الاصل الفاظ معان جردت من معانيها وفرغت من محتواها و نقلت من الفاظ معان الى أدوات ؛ وقد يكون هذا الانتقال واضحاً والصلة بين الاداة وأصلها واضحة لقرب العهد بهذا الانتقال أو لبقاء المادة الاصلية ووضوح الصلة في المعنى ؛ وقد تكون الصلة بالاصل غامضة لبعد العهد أو تغير معنى الاصل أوطروء تبدل كبير في لفظ أحدهما ؛ ومن أمثلة ذلك **على** وصلتها بمادة **ع ل و** واضحة بخلاف **من** و **الى** و **ليس** و **ليت** . ووصف علماء اللغة في هذا

العصر الفاظ المعاني بانها ممتلئة والفاظ الارتباط بانهـا فارغة ، ذلك أنها فرغت من محتواها الذي هو معناها الاصلي ، وبذلك أصبحت تدل على نوع علاقة بين لفظين أي بين معنييهما كالنفي في قولنا (ليس الرجل حاضراً) أو العلو في (المفتاح على الارض) أو مجرد المضي في الزمن في (كان النهر فائضاً) .

ومن هذا القبيل تسمية قدماء نحاة العربية لبعض الأفعـال الأفعال الناقصة و كأنهم يشيرون الى هذا المعنى الذي عبر عنه المحدثون بالفراغ وهو أرجح عندي من تفسير المتأخرين من النحاة بان المقصود بذلك انه لا يتم بها وبمرفوعها الـكلام .

❀ ❀ ❀

عناصر المعنى

يتألف معنى الكلمة من اجتماع عدة عناصر يضاف بعضها الى بعض ويحدده :

١ ـــ الاصل الاشتقاقي او المادة الاصلية التي ترجع اليها الكلمة وهي تتألف من مجموعة أصوات أو حروف .

٢ ـــ البناء الصرفي أو الصيغة .

٣ ـــ حياة الكلمة والتاريخ الذي تقلبت فيه فحدد استعمالاتها الكثيرة ووجوه معناها أو معانيها المتعددة ويحدد سياق الكلام او الاستعمال في نص خاص احد هذه الوجوه أو المعاني .

اما الاعراب والحركات وموقع الكلمة بين الكلمات الاخرى فلا تدخل في رأينا في تحديد معناها ومفهومها وانما تحدد صلتها بالالفاظ المجاورة لها أو على الاصح تحدد صلة معناها بمعانيها ككونها فاعلاً بالنسبة للفعل او خبراً بالنسبة للمبتدأ وهذا يدخل في بحث تركيب الكلام وانما بحثنا منحصر في مفردات اللغة قبل تركيبها . ولنفصل الكلام بعض التفصيل في هذه العناصر التي تؤلف معنى الكلمة باجتماعها .

المادة الاصلية :

ان كل كلمة في أي لغة ترجع الى أصل في تلك اللغة ، الا اذا كانت دخيلة فترجع حينئذ الى أصل في اللغة الاجنبية التي أخذت عنها ، ولكن الكلمات لا تحتفظ دوماً بمعاني اصولها الاشتقاقية ، وقد تبتعد عنها ابتعاداً تنقطع معه صلتها بها أو تكاد . وتختلف الحالة باختلاف الكلمات كما تختلف باختلاف اللغات .

واللغة العربية هي أبرز اللغات من جهة احتفاظ الفاظها بالصلة باصولها الاشتقاقية فظهور الصلة في اللغة العربية بين معاني الكلمات ومعاني أصولها للتي اشتقت منها هو القاعدة الغالبة وليس الامر كذلك في غيرها من اللغات الحية وذلك لسبب أساسي كنا بيناه في بحث الاشتقاق وخلاصته ثبات الحروف الأصلية وبقاؤها مهما تبدلت أشكال الالفاظ التي تتكون منها في أبنيتها وتصاريفها أو تبدلت معانيها . ويعجبني التعبير الذي استعمله الاستاذ أولمان حين وصف الالفاظ بكونها شفافة او كثيفة بحسب كونها كاشفة عن أصلها الاشتقاقي او ساترة له غير كاشفة عنه . ونستطيع أن نقول إن أكثر ألفاظ العربية بهذا المعنى شفافة ، وان الكثير من الفاظ الفرنسية والانكليزية كثيف غير شفاف ولذلك كان قلب الفاظها الكثيفة الى الفاظ شفافة عملاً شاقاً يتطلب للوصول اليه ، حين يكون ذلك ممكناً ، جهداً لغوياً فنياً يقصد

اليه بعض الكتاب والشعراء قصداً . ولا ازال أذكر كلمة في هذا الموضوع سمعتها من الشاعر الفرنسي بول فاليري P.Valery ، في محاضرة القاها في باريز سنة ١٩٣٧ شرح فيها فنه ، وقال فيها إنه يلاحظ في استعماله الالفاظ معانيها اللاتينية القديمة بحيث يلقى المعني الاصلي القديم ظله على الكلمة المستعملة بمعناها الحديث المألوف .

فكم من الفرنسين من يعرف ان (Arriver = الوصول) مشتقة من (Rive = الشاطىء) وان (Avaler = البلع) مأخوذة من (Val = الوادي) وأن (Vertu = الفضيلة والخاصة) و (Virilité = الرجولة) أصلهما لفظ (Virum) من اللاتينية ومعناه الرجل في عنفوان قوته وأن لفظ (Cuisine = الطبخ) مشتق من Culina اللاتينية ومنها Culinaire أي المنسوب الى الطبخ وان (Désastre = مصيبة) مشتقة من (Astre = النجم) لاعتقاد تأثير النجوم قديماً وان مرجع الكلمات: Domestiqee = اهلي و Dôme = قبة و Domaine = ملك و Domicile = منزل هو كلمة Domus اللاتينية ومعناها منزل. ولو نظر أي عارف باللغة العربية الى هذه الالفاظ التالية، على ماجد لبعضها من معان جديدة ، لعرف أصلها وربط معناها الجديد بالقديم : ابداع ، اشتراكية ، تحليل اجتماعي ، عقدة نفسية ، ازمة الحكم ، تقوى ، سيارة ، تطور ، وأمثالها كثير لا يكاد يحصر . ولا تزال كلمة التحية تدل على

أصلها وهو الحياة وسلم و السلام تدل كذلك على السلم لان التحية أو التسليم كانت ترمز إلى اعطاء الامان وتدل كلمة منزل على اصلها وهو المكان الذي كان ينزل فيه العرب من على ابلهم وخيولهم ليقيموا فيه خباءهم وبيوتهم المتنقلة .

وان ابتعاد الكلمة عن أصلها الاشتقاقي وانقطاع الصلة بين معنييها أو ضعفها ينشأ عن حدوث تبدلات صوتية في بناء الكلمة توهم الاختلاف والانقطاع ، وقلما يحدث مثل هذا في اللغة العربية واذا كانت الكثرة من الناس اليوم تجهل أن التقوى من وقى وان تترى من الوتر والتلاد من ولد ومنأدّ ـ ومعناه المعوج ـ من الأود فلا يعني ذلك أن العربي كان في دخيلة نفسه لا يعلم هذه الصلة . فمنشأ ذلك ان الملكة العربية قد ضعفت وهي في طريقها الى القوة والرسوخ. ولكن مثل هذا كثير الحدوث في غير العربية من اللغات الحية ، فالخاصة من مثقفي الفرنسيين أو من المختصين يعرفون أن Beau coup أصلها من كلمتين هما Coup و Beau وان printemps مأخوذة من لفظتي Temps و prinum وان Altérer و Autre من اصل واحد وان Noble معناه في الاصل المعروف او القابل للمعرفة وانه مشتق من اصل لاتيني يفيد معنى المعرفة .

وقد ينشأ ضعف الصلة بالاصل الاشتقاقي بسبب تبدلات كثيرة طرأت على معاني الكلمة فابعدتها عن الاصل حتى لتبدو للسامع منقطعة الصلة غريبة عن اصلها ، وهذا يحدث في العربية كما يحدث في غيرها

ولكن الاهتداء الى الصلة في العربية اسهل لثبات الحروف الاصلية فلا يبقى الا التفتيش عن الحلقات الضائعة التي تصل المعنى الحديث بالقديم فالمدينة من دان بمعنى خضع لان المدن وهي مساكن الحضر موطن للخضوع في نظر العربي الذي كانت البداوة غالبة عليه و الجنة من جنن ومعناها التغطية لانها مغطاة بالخضرة والنبات والتقوى وقاية الانسان نفسه بعمله الصالح من عذاب الله والمهنة الحرفة من الهوان وهو الذل لما في صنائع المدن وحرفها في نظر اهل البادية من الهون .

وحدوث مثل ذلك في غير العربية كالفرنسية مثلا كثير ويزيده اشتباها وانقطاعا طروء تبدلات في التركيب الصوتي للالفاظ وتعرض جميع حروف الكلمة للسقوط والحذف بلا تمييز بين اصلي وزائد .

تركيب المادة الاصلية :

ان اللغة تتألف من كلمات والكلمة هي الوحدة اللغوية دون الحرف او الصوت وان كانت الكلمة تتكون من حروف. ذلك ان الكلمة ذات دلالة واضحة وهي في حالة الانفراد ، بخلاف الحرف فليس له دلالة.

ولكن الكلمات يختلف بعضها عن بعض في المعنى تبعاً لاختلاف حروفها واصواتها وكل تبدل صوتي فيها يتبعه تبدل في المعنى وهذا يدل على ان للحرف او الصوت اثراً في تكوين المعنى وتحديده وان له بعبارة اخرى وظيفة دلالية .

ولكل لغة طريقتها في تركيب الفاظها الصوتي وقوانين يخضع لها هذا التركيب .

وتختص اللغة العربية :

١) بان اكثر الفاظها تتكون في اصولها الاشتقاقية من ثلاثة حروف صوتية دون حساب الحركات .

٢) وان هذه الحروف الثلاثة ثابتة لا تتغير في جميع مفردات المادة ومشتقات الاصل كما انها كذلك ثابتة لا تختلف باختلاف العصور ولا تطرأ عليها تبدلات صوتية تغيرها الا في أحوال نادرة .

٣) وان للحرف قيمة دلالية ووظيفة في تكوين المعنى وتحديده هي في العربية اظهر واوضح منها في اللغات الاخرى وقد بينا بعض ذلك في بحث الاشتقاق في هذا الكتاب ونزيد ذلك هنا ايضاحاً وبياناً .

ان الاصوات التي تتكون منها الكلمة العربية انواع ثلاثة :

١ ـ الحروف الصوتية أو الصائتة .

٢ ـ حروف المد أو الحروف الهوائية .

٣ ـ الحركات أو حروف المد القصيرة .

اما **الحروف الصائتة** وهي ما سوى حروف المد من الاحرف الهجائية فهي العماد في تركيب الكلمة وتكوين معناها ويمكن القول ان اتفاق عدد من الالفاظ فيها معناه اتفاقها في المفهوم الاصلي والخلاف

فيها كذلك خلاف فيه بينها . ويبدو من استعراض امثلة كثيرة في العربية ، سبق ان سقنا الكثير منها في باب الاشتقاق[1] ، ان الحرف في العربية ذو قيمة دلالية بارزة، وان استخراج هذه المعاني الكلية التي تفيدها الحروف بحاجة الى احصاء شامل واستقصاء طويل ينتظر من يقوم به حتى الآن لاثبات هذه النظرية أو تعديلها أو رفضها .

ومثال ذلك ما يدل عليه حرف النون من معنى الظهور في أول كثير من الالفاظ مثل نبع ونبأ ونشأ ونجم ونطق ونفر ونفث ونفه ... ونما ونثر ونتأ ....

وما يدل عليه حرف القاف من القطع والضرب والصدم في مثل: قد وقط وقطع وقطف وقتل وقرف وقرع ودق ورق وشق وطرق .

وما يدل عليه حرف السين من الليونة او النقص في مثل : خسّ وخسر وخسف وكسف وكسر ونسي ونعس وسهل وملس ونسل وسرق وسرف .

وما يدل عليه حرف الراء من تكرار الفعل وديمومته مثل : جرّ ومرّ ودرّ وفرّ وقرّ ورعى ورسا وسرى ورقى وفرع .

وما يدل عليه حرف الغين من الغيبوبة والستر في مثل : غيم وغيب وغرق وغرب وغفر وغمر وغمى وغمس وغبش وغبر وغار وغبن وغش وغض .

---

(١) انظر ص ٨١ — ٨٥

هذا وان الاختلاف في (الكمية) اي في مقدار قوة الحرف شدة وضعفا يدل كذلك على اختلاف كمي في المعنى فاوزان فعّل وتفعّل وافعلّ وفعّال وفِعّيل تدل كلها على الشدة او المبالغة .

وهذا المعنى قد يلاحظ في الفاظ قليلة في اللغة الفرنسية ولكنها لا تبلغ ما تبلغه اللغة العربية كثرة وظهوراوذلك كالكاف في Couper و Casser والفاءفي الافعال الدالة على النفخ مثل : Souffler و Siffler و Gonfler . وكثيراً ما استثمر الادباء من ناثرين وشعراء هذه الخاصة في تقابل الاصوات والمعاني في كتاباتهم وشعرهم كما فعل ذلك فيكتور هوكو و لوكونت دوليل ، وهو كثير الوقوع في العربية ولا سيما في القرآن الكريم حيث بلغ التقابل بين المعنى والنغمة الموسيقية ذروة الكمال . وللعربية في تركيب الحروف موسيقى خاصة يعرفها العربي بالذوق فلا تجتمع بعض الحروف في كلمة واحدة كالجيم والقاف،والجيم والصاد،والصادوالطاء،والزاي بعد الدال،والشين بعد اللام، والنون قبل الراء[1].

أما حروف المد

فهي عنصر مرن متحول ليس من الاجزاء الاساسية في تكوين

---

(١) انظر كتاب التقريب لاصول التعريب للشيخ طاهر الجزائري ص ٧٣ .

الاصول الاشتقاقية[1] ولا يستوجب الاتفاق فيه والاشتراك اتفاقاً في المعنى والخلاف فيه كذلك اختلافا فيه ، وذلك بخلاف الفرنسية والانكليزية ، اذ الخلاف في حروف المد فيهما خلاف اساسي يتغير به المعنى والاصل الاشتقاقي غالباً ، فانظر مثلا الى مبلغ الاختلاف بين الالفاظ التالية في اللغة الفرنسية مع أن الخلاف منحصر في حروف المد : peu , peau , pus , pas , mal , mille , mule , mol , moule فالخلاف في حروف المد في الفرنسية خلاف اساسي .

وأما في العربية فكأن حروف المد - وليست الحركات الا نوعا من حروف المد القصيرة - جعلت لتنويع المعنى الاصلي الثابت بثبات الحروف الصائتة في المادة الواحدة وتعينها في ذلك حروف أخرى تؤلف معها ما يسمى حروف الزيادة المجموعة في (سألتمونيها) ؛ فالفرق بين كَتَبَ و كِتاب وكُتُب وكتْب وبين سفر وسافر وحذر وحاذر وعلم وعليم وعالم وعلوم وعلّم وامثالها اكثر من أن

---

(١) قد يكون حرف المد في نظر اللغويين احد الحروف الاصلية الثلاثة في الكلمة كالواو في القول والياء في البيع ولكنه حتى في هذه الحال عرضة للتحول او الحذف في كثير من الاحوال كحذفه في أفعال الامر في الوسط والآخر كقل وبع وارم وابق مع انه حرف اصلي في هذه الالفاظ في رأيهم .

يحصى ليس خلافاً في المعنى العام الذي هو في كل منها معنى المادة الاصلية وانما الخلاف في تنوعاته وملابساته • واكثر الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة والحديثة يرجع الى الاختلاف في حروف المد الطويلة والقصيرة وطريقة النطق بها •

واما الحركات

فهي في حقيقتها حروف مد قصيرة وطريقة الكتابة العربية هي التي أوهمتنا أن بينها و بين حروف المد فرقاً نوعياً مع أن الفرق كمي . فالفتحة اخت الالف والضمة اخت الواو والكسرة اخت الياء ، وقد تنبه أسلافنا من علماء اللغة الى ذلك واوضح ابن جنى في كتابه سر صناعة الاعراب هذا المعنى أحسن الايضاح [1] . وبالجملة ان اللغة العربية بلغت الغاية في حسن استخدام الحروف وتقسيمها الى قسمين احدهما لتنويع اصول المعاني وهي الحروف الصائتة وثانيهما لتنويع المعنى الواحد على حسب احواله وملابساته للفاعل والمفعول والصفة وللماضي والمستقبل وهذه هي حروف المد الطويلة والقصيرة (الحركات) يضاف اليها أحياناً بعض الحروف وهي ا(س ، ت ، ل ، م ، ن أ ، ء)

---

(١) « اعلم ان الحركات ابعاض حروف المد واللين وهي الالف والياء والواو . . . وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة . . » ص ١٩

فاختلاف الحركة مع الاتفاق في الحروف الاصلية يؤدي الى اختلاف جزئي في المعنى وذلك كالاختلاف بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول من الافعال كرفع ورُفع وبين اسم الفاعل واسم المفعول من أفعل كمكرم ومكرَم ومن فاَعل وتفاَعل وتفعّل واستفعل . وفي العربية الفاظ كثيرة تتفق في الحروف والصيغة ولكنها تختلف فى بعض حركاتها فيتغير معناها تبعاً لذلك كالعِلاقة فهي بالكسر للماديات كعلاقة السيف وبالفتح للمعنويات والسحور بضم السين للفعل وبفتحها لما يتسحر به من الطعام وكذلك الطهور بالضم والفتح والقر بضم القاف البرد وبفتحها البارد وفرق بعض اللغويين بين الجَهد بفتح الجيم ومعناه الطاقة والجُهد بضمها ومعناه المشقة وقد أشار كثير ممن الفوا في اللغة من علمائنا الاقدمين الى هذه الفروق .

البناء الصرفي او الوزن :

وهو ثاني العناصر التي تكوّن معنى الكلمة وتحدده فبعد أن تكون المادة الاصلية قد قدمت جملة المعنى او المفهوم الكلي الجامع يقتطع البناء الصرفي أو الوزن من هذا المعنى الكلي جزءاً محدوداً ويكون كالقالب الذي يأخذ من مادة المعدن جزءاً يحدد أطرافه وتتعين بذلك وظيفته . وذلك كأن تكون مادة الكلمة الاصلية مؤلفة من (ر ف ع) فتبنى على وزن (فاعل) فتكون كلمة رافع أو من (ن ز ل) فتبنى على

وزن (مفعِل) فتكون منزل و بذلك تكون كلمة رافع اخذت من مادة (رفع) المعنى العام ومن القالب الذي صيغت فيه معنى الفاعلية و كذلك منزل أخذت من (نزل) المعنى العام للنزول ومن الصيغة التي وضعت فيها ممنى المكانية .وقد فصلنا القول في دلالة الاوزان والصيغ وما تقدمه للمواد الاشتقاقية من معان عامة وقوالب فكرية في فصل سابق من هذا الكتاب فليرجع اليه (ص ٩٢ ــ ١١٤) .

حياة الكلمة والسياق :

ان معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لاتكفي غالباً لتحديد معناها تحديداً تاماً دقيقاً ، فان كل كلمة بعد أن أخذت من مادتها الاصلية و بنيت على أحدالاوزان الصرفيةاستعملت في مواطن من الكلام وخصصها الاستعمال بمعان اخص من المعنى العام الذى تدل عليه مادتها و بتعدد الاستعمال خلال العصور وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمة اكثر من معنى ويجتمع لها اكثر من دلالة . وهذه الاستعمالات او المعاني المتعددة تتصل كلها بالمعنى الاصلي اتصالا قوياً أو ضعيفاً قريباً أو بعيداً وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها و كأنها مختزنة فيها كامنة في تضاعيف حروفها ويبرز احدها حين استعمال الكلمة في جمله معينةوسياق محددمن الكلام. فلو نطق متكلم بكلمة (كاتب) هكذا مجردة من الكلام لثار في ذهن

السامع معان عديدة منها الكاتب المشتهر بالكتابة الادبية كالجاحظ ومنها كاتب المحكمة والمسجل في دائرة من دوائر الدولة أو في متجر من المتاجر في العصر الحاضر ومنها اسم الفاعل الدال على حدوث الكتابة من أحد الناس ولا يعين أحد هذه المعاني الموجودة بالقوة في لفظ هذه الكلمة ولا يخرجه من حيز القوة الى حيز الفعل الا استعمالها في جملة من الكلام وكذلك ألفاظ : **الحكم والاعتزال والحدود والباب والصحيح والفصل** فلكل منها معان متعددة استعملت في عصور مختلفة وفي بيئات شتى **فالحدود** عند البحث في الاراضي والعقارات هي غير **الحدود** عند الفقهاء **والصحة** تستعمل في الرأي والمنطق وفي الصحة والطب وفي النحو والحساب .

ولهذا كان للسياق قيمة في تحديد المعاني وفهم الكلام . وان هذه الاستعمالات التي تستعمل فيها الكلمات وهذه المعاني الخاصه المحدودة التي تلازمها في بعض العصور مدة طويلة أو قصيرة والبيئات التي تعيش فيها هي التي تكون شخصية الكلمة أو ذاتيتها .

ان للكلمة في اللغة حياة خاصة بها وقد شبهها علماء اللغة المحدثون بالاحياء ، فقالوا ان الكلمة يعتريها مايعتري الاحياء من أحوال: فهي تولد في بادىء الامر،وقد نحضر ولادة بعض الكلمات،ولو كانت مادتها في الاصل موجودة كالمذياع والطائرة،وتشتهر الكلمة بين الناس أو تكون

خاملة الذكر لا يعرفها الا عدد قليل من الناس ويعتريها الضعف والهزال فيقل استعمالها، وتهاجر وتسافر وقد تعود من مهاجرها في زي جديد فكلمة **غول** انتقلت الى اللغة الاوربية alcool ثم عادت الينا فقالوا كحول ظناً منهم أن الكلمة الفرنجية مأخوذة منها وقد تموت الكلمة فلا تستعمل ابداً وتبقى مدفونة في النصوص القديمة وقد تبعث من جديد بعد موتها .



وضع الالفاظ ونشأة اللغة

للموجودات الحسية والمعنوية اسماء تدل عليها في كل لغة من اللغات تتسع دائرتها أو تضيق بحسب اتساع افق اصحاب تلك اللغة أو ضيقه في معرفتهم لموجودات الكون أو معاني الوجود . ولا نعني بلفظ الاسماء اصطلاح النحاة في تقسيم الكلمة وانما اردنا ماهو اعم من ذلك واشمل فكل لفظ اطلق على معنى من المعاني فهو اسم له . فلفظ أعطى اسم لمعنى فعل الاعطاء في الماضي اذا قام به فرد غائب وكذلك قسم واجتمع وحائط وشجرة وشرف اسماء لمعانيها التي تدل عليها [1] .

ولنطرح على بساط البحث موضوع التسمية أو وضع الالفاظ واطلاقها على مسمياتها ومعانيها كيف حدثت وتمت ؟و كيف كان هذا الاقتران بين اللفظ ومعناه والتلازم بين الاسماء والمسميات ؟ ولماذا اختير هذا اللفظ بعينه لذلك المعنى الذي يفيده ؟ان هذه مسألة تطرح للبحث في كل اللغات ولا بد لبحثها من شطرها وتقسيمها الى مسألتين والنظر اليها من وجهين .

ذلك ان كل لغة حية تولد الفاظاً جديدة للتعبير عن المعاني الجديدة

---

(١) قال ابن سيده والاسم اللفظ الموضوع على الجوهر او العرض لتفصل به بعضه من بعض (لسان العرب).

ولكل منها طريقة خاصة بها في توليد الالفاظ واستحداث الكلمات بطريق الاشتقاق أو النحت أو غيرهما من الاصول والألفاظ الموجودة عندها . ولكنها كيف اختارت في بدء تكوينها وأول نشوئها هذه الالفاظ بعينها؟ فاذا اشتققنا اليوم في العربية كلمة سيارة ومحرك ومواطن لمعان جديدة فان لنا أن نتساءل أولاً عن سبب اختيار مادة سار وحرك ووطن للدلالة على هذه المعاني دون سواها ولنا أن نتساءل أيضاً عن هذه الالفاظ نفسها كيف وضعت لمعانيها لاول مرة . ففي الموضوع مسألتان احداهما وضع الألفاظ ابتداء في كل لغة و الثانية وضع الالفاظ بعد ظهور اللغة واستقرارها وطريقتها في التسمية واطلاق الالفاظ على المعاني .

أما المسألة الاولى فتردنا الى البحث في أصل اللغات ووضع الالفاظ وهو في باب اللغة من قبيل البحث في الغيبيات (الميتافيزيك) ويكاد يكون الخوض فيه عملاً قليل الجدوى ضعيف النتائج وضرباً من الافتراض والتخيل، ذلك أن نشأة اللغات الاولى مغيبة عنا بيننا وبينها — كما هي الحال في جميع البدايات — حلقات منقطعة يتعذر وصلها ولذلك لم يفتر الخلاف بين الباحثين في هذا الموضوع قديماً وحديثاً .

وان النظرية الطبيعية التي حاول أصحابها أن يعللوا نشأة أصول الالفاظ الاولى بمحاكاة أصوات الطبيعة لاتكاد تثبت للحجة والدليل ولاتصدق الا في القليل النادر من الفاظ كل لغة فاذا قلنا ان قط

وما يتفرع منها من الفـاظ والقصّ والكسـر والانين والحفيف والقلقلة والصلصلة واضرابها تحكي باصوات حروفها أصوات الاحـداث التي تدل عليها في اللغة العربية وان Fracas القعقعة والجلبة و Croquer أنقضم و Casser كسر في اللغة الفرنسـية تصور بجرس حروفهـا أصوات الافعال التي تعنيها فكم عدد الالفاظ التي تقع هـذا الموقـع وتتصف بهذه الخاصة في اللغة العربية وفي الفرنسية ؟ لاشك انهـا قليلة محدودة . أما الالفاظ التي نجد بين جرسها ومعناها تناسباوتوافقا فربما كانت أكثر عدداً ولكنها لا يحتج بها في هذا الباب ولا يمكن أن يعلل أصـل وضعها بالتعليل الصوتي لمجرد هـذا التناسب وذلك مثل : شوه ودق وفرع وكبكب وسال ونفخ وزحف وفي الافرنسية مثل : grandeur, fanfare, sonore, lourd, subtil, fin, petit gloire . على أن في هذا التناسب شـيئاً كثيراً من العادة والائتلاف عند أهل كل لغـة في الربط بين بعض المعـاني وبعض الاصوات . ولو صحت هذه النظرية لما تعددت اللغات ولتماثلت او تشابهت على الاقل فان أصوات الطبيعة واحدة مع ان تلاقي اللغات في الفاظ واحدة وتشابه الالفاظ الدالة على معان واحدة لايقع الا في القليل النادر واذا وقع فلا بد غالباً من بعض الاختلاف وذلك مثل كسر و Casser وقطع Couper و كفر بمعنى ستروCouvrir وصفر و Siffler وأمثالها في العربية والفرنسية .

وقد جرى بين علمائنا المتقدمين نقاش وجدل حول هذا الموضوع وذلك بمناسبة البحث في أصل اللغة هل هو تواضع واصطلاح ام توقيف[١] ووحي .

فقد اختلفوا في كيفية دلالة الالفاظ على معانيها و نوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله وعلة اقترانهما فهل « تدل على المعاني بذواتها او بوضع الله اياها او بوضع الناس »[٢] . وقد خصص السيوطي الفصل الاول من كتابه المزهر لهذا البحث واورد رأي عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي من « أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع » .

ثم قال السيوطي بعد نقله هذا الرأي عن أهل أصول الفقه : ان الجمهور انكر هذه المقالة . وأورد مناقشتهم لها ثم قال : « وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد ان عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم »[٣] .

ونقل عن ابن جني « ان بعضهم ذهب الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد

---

(١) اي ما يتوقف فيه على ما جاء عن طريق النبوة والوحي .
(٢) المزهر ج ١ ص ١٦ .
(٣) المزهر ج ١ ص ٤٧ .

وخرير الماء وشحيج الحمار و نعيق الغراب وصهيل الخيل ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » وعقب ابن جني على هذا الكلام بقوله : « وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل.»(١)

ان علماء اللغة المحدثين قد اخرجوا البحث في اصل اللغة والفاظها ونشأتها الاولى من مباحث علم اللغة كسائر المباحث التي هدفها معرفة بداية الحياة الانسانية والاجتماعية التي اصبح البحث فيها داخلا في نطاق الفلسفة اكثر من ان يكون من اختصاص العلم . اضف الى ذلك قلة جدوى هذا البحث وقد كان هذا الموقف نفسه موقف كثير من علماء السلف في تاريخنا فقد قال ابن السبكي : « الصحيح عندي ان لا فائدة لهذه المسألة » كما نقل عنه السيوطي وعقب على ذلك بقوله « وهو ما صححه ابن الانباري وغيره ولذلك قيل ذكرها في الاصول فضول.»(٢)

اما البحث فيما بين جرس الالفاظ ومعانيها من مناسبة فهو من المباحث اللطيفة في كل لغة وهو بحث جدير بعناية اهل الادب ولافت لنظرهم . وقد كان ابن جني كعادته من السباقين والمبدعين في أمثال هذه المباحث فقد عقد عدة فصول تتعلق بالصلة بين اللفظ من حيث أصواته التي يتركب منها ونغمته وجرسه من جهة ومعناه من جهة أخرى كالبحث الذي عنوانه (باب في امساس الالفاظ أشباه المعاني) والمعنون

---

(١) المزهر ج ١ ص ١٤ و ١٥ .

(٢) المزهر ج ١ ص ٢٦ .

ايضاً بتصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني [1] وقد أشرنا في ماتقدم من من مباحث الى هذه الآراء والنظرات [2] فلندع الآن هذا البحث جانباً ولننظر في المسألة الثانية وهي التسمية الفرعية او اطلاق الالفاظ على مسمياتها بعد وضع اللغة .

* * *

---

(١) الخصائص ج ١ ٥٤٤ و ٥٣٧ من الطبعة القديمة و ص ١٤٥ – ١٦٦ من الجزء الثاني من الطبعة الجديدة (دار الكتب المصريه) .

(٢) ص ٧٤ – ٨٥ من هذا الكتاب .

توليد الالفاظ وتسمية المسميات

(١)

طريقة توليد الالفاظ

ان تسمية الاشياء ووضع الالفاظ للدلالة على مدلولاتها عمل مستمر في جميع اللغات الحية فان الانسان لا يزال يكتشف ويصنع اشياء جديدة ولا يفتأ يطلع على معان مبتكرة اوفكر طريفة او يصوغ مفاهيم حديثة وهو في كل هذه المجالات محتاج الى الفاظ جديدة تدل على هذه الاشياء والمعاني الجديدة . وتكون تسمية الاشياء ووضع الالفاظ الجديدة ، بعد ان تكون اللغة قد اجتازت مرحلة نشوئها الاولى وغدا بين يديها رصيد من المفردات ، بانتزاع صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته او اختيار جزء من اجزائه او ناحية من نواحيه او تحديد وظيفته الاصلية وتسميته بلفظ مشتق من اللفظ الدال على تلك الصفة او الناحية او العمل. فالعرب قديما سموا **السماء** بصفة السمو والعلو و**السهل** من الارض لسهولة السير فيه و**البادية** لصفة الظهور والوضوح و**المسكن** لشعور المرء فيه بالسكينة و**السفر** لكشفه عن صفة الانسان او لانكشاف آفاق الكون امام المسافر. وكذلك جرت التسمية بعد الاسلام واحدثت الفاظ لمعان جديدة على هذه السنة

نفسها فسميت الزكاة بلفظ يدل على النماء او الطهارة والتقوى من الوقاية بالعمل الصالح والجهاد من لفظ يدل على الطاقة والمشقة والتعب. ولا نزال منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا نضع الالفاظ للمعاني الجديدة على هذه الطريقة في اكثر الاحوال كالمكتب و المطبعة و العاطفة و الجامعة و القطار و الدراجة و الفنان وامثالها من الالفاظ المستحدثة في هذا العصر.

وعلى هذه السنة نفسها تسير اللغات الحية اليوم مع اختلاف في أسلوب صياغة الالفاظ فلكل لغة أساليبها الخاصة بها كالاشتقاق والنحت فقد ولدت الفرنسية في العصر الحديث الفاظا مثل : avion للطائرة واصل معناها الطائر شبهت به و imprimerie للمطبعة وقد أخذت من اصل يدل على الضغط و repasser لسن السكين وكيّ الثياب واصل معناها تكرار المرور وفي كلا الفعلين مرور متكرر للسكين التي تسن وللحديدة التي تكوى بها الثياب و bicyclette للدراجة ومعناها ذات الدولابين و moteur للمحرك وهي تدل على هذا المعنى دلالة تامة.

(٢)

تعليل الالفاظ

ان هذه الظاهرة دعت بعض علماء العربية قديماً الى القول بتعليل الفاظ اللغة قال ابن الاعرابي : « الاسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت

منها . من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله » وذهب الى ان « البصرة سميت البصرة للحجارة البيض والرخوة بها والانسان سمي انساناً لنسيانه والبهيمة سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز . فان قال قائل لاي علة سمي الرجل رجلا والمرأة امرأة ودعد دعدا قلنا لعلل علمتها العرب وجهلناها او بعضها فلم تزُل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا[1] » .

وهذه الصلة بين معنى اللفظ الدال والمدلول او المسمى قد تغمض أو تخفى على تقادم العهد وتطاول الزمن حتى تجهل علة التسمية ومناسبة الوضع وقد تبقى واضحة ظاهرة او قابلة للكشف بقليل من التأمل كألفاظ الانسان والسماء والماشية والجهاد والتقوى والشرف والمدينة والعاصمة والسحاب والمجاز وغيرها فهي من الانس والسمو والمشي والجهد والوقاية والشرف بمعنى الارتفاع والدين بمعنى الخضوع والعصمة اي المنع والسحب والجواز . ومن الالفاظ ما تخفي الصلة بين مدلولها ومعناها الاصلي لبعد العهد وقدم التسمية وهذه هي الالفاظ التي سماها علماؤنا السابقون مرتجلة . واللغة العربية لها مزية ظهور الصلة بين معنى الالفاظ الأصلي ومدلولاتها المسماة بها في كثير من الفاظها اذا لم نقل في اكثرها وكثيراً ما تبدو هذه الصلة خفية لاول نظرة ولكنها سرعان

---

(١) المزهر ج ١ ص ٤٠٠

ما تنكشف بقليل من التأمل ومثال ذلك ما أوضحناه في باب الاشتقاق[1] من علاقة **الاغارة** بالغور و**الجار** بالجور ومثله صلة **الانسان** بالانس و**الاسم** من الوسم والسمة اي العلامة و**الغابة** من الغيب لانه يغاب فيها.

لقد تنبه السابقون من علماء العربية ورواتها الى هذه الصلة بين الالفاظ ومدلولاتها وغالى بعضهم فيها احياناً واستنكرها بعضهم ولم ينظر اليها نظرة جد وانتقد من ذهبوا هذا المذهب في تعليل تسمية الاشياء ووضع الالفاظ للدلالة عليها .

قال الزجاج في كتابه في الاشتقاق[2] : « شجرت فلانا بالرمح تأويله جعلته فيه كالغصن في الشجرة وقولهم للحلقوم وما يتصل به شَجْر لانه مع ما يتصل به كاغصان الشجرة وتشاجر القوم انما تأويله اختلفوا كاختلاف اغصان الشجرة وكل ما تفرع من هذا الباب فاصله الشجرة » وقال الزبيدي في طبقات النحويين[3] : « سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمر أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الاعرابي فقال له ابو عمرو دعني فاني الطف بسؤاله واعرف فسأله فقال الاعرابي : استفاد الاسم من السير . فقال ذهب الى الخيلاء التي في الخيل والعُجب الا تراها تمشي العَرَضْنَة خيلاء وتكبرا » .

---

(١) انظر ص ٥٨ و ٦٠ من هذا الكتاب .

(٢) المزهر السيوطي ج ١ ص ٣٥١ .

(٣) المزهر ج ١ ص ٣٥٣ .

ونقل السيوطي في مزهره ايضا : « قال حمزة بن الحسن الاصبهاني في كتاب الموازنة كان الزجاج يزعم ان كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وان نقصت حروف احداهما عن حروف الاخرى فان احداهما مشتقة من الاخرى فتقول الرحل مشتق من الرحيل والثور انما سمي ثوراً لانه يثير الارض والثوب انما سمي ثوبا لانه ثاب لباسا بعد ان كان غزلا . حسيبه الله ! كذا قال » ثم يسوق السيوطي حديثاً بين الزجاج ويحيي المنجم فيه طرافة تعرض فيه اجوبة الزجاج في معرض النكتة والتهكم وقد يكون الزجاج اوردها فعلا هذا المورد لمقابلة التهكم بمثله ومن ذلك قوله حين سألوه عن الجرجير وهو نوع من البقل وعن الجرير وهو الحبل أن ذلك كله من جرّ يجرّ فلما سألوه عن الجرة قال لأنها تجر على الارض فقال مخاطبه لو جرت على الارض لانكسرت وقال المجرة سميت كذلك لان الله جرها في السماء جرا [1] » .

وينبني على كون التسمية اللغوية ليست الا تصويراً لبعض جوانب المسمي أو بعض صفاته او اجزائه او ابرز اعماله ووظائفه نتائج عديدة نبسطها فيما يلي من بحثنا .

---

(١) المزهر ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣)

الكلمة رمز وسمة لا تعريف

ان **الكلمة ليست تعريفاً الشيء** ولا تحديداً لكهنه ولا وصفاً محيطاً بجملته واجزائه فقد يكون اللفظ في أصل معناه أوسع من المسمى وهو الغالب وانما يأتي التخصيص من الاصطلاح والتواضع فلفظ **الجنين** من مادة ج ن ن وهي تفيد الستر وسمي الجنين كذلك لانه مستور في بطن امه وليس الستر هو الصفة الجامعة المانعة للجنين وانما هي احدى صفاته ويشار كه فيها موجودات اخرى أيضاً. ويمكنك ان تقول مثل هذا القول في سائر الألفاظ المحتفظة بمعانيها الاصلية والموضوعة لمدلولات معينة مثل **الحديقة والحمل**، للشجرة والأنثى، **والسيارة والطريق والزكاة والربا**، فليس في هذه الالفاظ وأمثالها مطابقة تامة بين معنى اللفظ الاصلي ومدلوله او المعنى المقصود به ولاعمل هنا للمنطق والقياس ومن سخف التفكير ماقاله يحيى بن علي المنجم حين أراد أن يطبق المنطق العلمي في رده على الزجاج اللغوي اذ قال: «فالفصيل المجُرّ الذي شق طرف لسانه لئلا يرضع حليب امه ما قولك فيه؟ قال لانهم جروا لسانه حتى قطعوه. قال فان جروا اذنه وقطعوها تسميه المجر؟ قال: لايجوز لك. فقال يحيى بن علي: نقضت العلة التي اتيت بها على نفسك ومن لم يدر أن هذه مناقضة فلا حس له[1]». والحقيقة أن

---

(١) المزهر ج ١ ص ٣٥٤.

هذا المنجم الفلكي هو الذي لم يكن له حس لغوي وليس الزجاج .
«قال ابو جعفر النحاس في شرح المعلقات : قيل انما سميت الخمر مدامة لدوامها في الدن وقيل لانه يغلى عليها حتى تسكن لانه يقال دام سكن وثبت فان قيل فهل يقال لكل ماسكن مدام ؟ قيل الاصل هذا ثم يخص الشيء باسمه[1]».

(٤)

الاشتراك أو تعدد المعنى

إن أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام فكلمة دليل يقصد بها من يدل على الطريق أو من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدلهم على الاماكن الجديرة بالزيارة ويراد بها الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد لدلالة الغريب على معالمه وآثاره ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان لأن جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالّة لقاصدها وان كانت هي في ذاتها مختلفة ومثلها كلمة جارية فقد اطلقت على الفتاة الحديثة السن في العصر الجاهلي واستعملت بمعنى السفينة « وله الجوار في البحر كالاعلام » والساقية للنهر الصغير والفتاة التي تتولى تقديم الشراب

---

(١) المزهر ج ١ ص ٤٣٣ .

والسهم للحديدة التي يرمى بها والحصة التي تكون لكل واحد من المشتركين في الميسر واطلقت في زماننا على أصغر حصة يمكن ان يساهم بها المشترك في الشركات المسماة بالمساهمة اشتقاقاً من لفظ السهم. وكلمة المشروع تستعمل بمعنى الجائز شرعاً أو قانوناً وتطلق في عصرنا على العمل الكبير كبناء جسر أو سد أو مدينة وخصوصاً قبل اتمامه باعتبار انه شرع به أو سيشرع كما تطلق على القانون قبل أن تتم الموافقة النهائية عليه من السلطة المختصة بذلك.

وقد يقع أن تطلق الكلمة الواحدة على معنيين متضادين لوجود صفة مشتركة بينهما ومثال ذلك لفظ الحرمة فهي مشتقة من مادة حرم التي تفيد المنع وتوصف بها الاشياء التي لا ينبغي الاقتراب منها بل يمنع لقبحها وخبثها كحرمة الزنى والخمر كما توصف بها الاشياء التي لا تقرب لكرامتها وقدسيتها فتقول أن للدين حرمته وللكتاب المقدس حرمته

وتعدد معاني اللفظ ظاهرة لغوية نجدها في جميع اللغات الشائعة لأن منشأها وسبب وجودها هو ماذكرناه من طريقة تسمية الأشياء ووضع الألفاظ وهو أمر عام في اللغات وهذه الظاهرة هي التي سماها قدماؤنا الاشتراك وسموا اللفظ المتصف بهذه الصفة المشترك واذا كانت المعاني المدلول عليها متضادة فاللفظ عندهم من الاضداد، وسمى الفرنسيون ظاهرة الاشتراك هذه polysémie ومعناه تعدد المعنى.

(٥)

الترادف :

ولو نظرنا الى وضع الألفاظ وتسمية المسميات من وجه آخر لوجدنا أن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة ويمكن أن يسمى باكثر من صفة من صفاته وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات ومن هنا ينشأ **الترادف** وهو تعدد اللفظ للمعنى الواحد وهو عكس الاشتراك ، وهذا هو أبرز أسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات فمن ذلك تسمية الدار **داراً ومنزلاً ومسكناً وبيتاً** باعتبار كونها مستديرة في الأصل أو كونها مكان النزول بالنسبة لاهل البادية أو المسافر أو كونها موضعاً للسكينة والاطمئنان أو كونها مكاناً للبيتوتة ، وكل لفظ من هذه الالفاظ يدل على المقصود نفسه باحد هذه الاعتبارات التي قد يقصدها المتكلم ويلاحظها اولا يقصدها ولا يلاحظها وهو الغالب في استعمال الناس وأهل الادب والبلاغة وحدهم قد يراعون في استعمالهم أحد هذه الألفاظ معناها الأصلي . ومن هذا القبيل تسمية الكتاب **كتاباً ومؤلفاً ومجلداً وأثراً** وكذلك **الصديق والعشير والانيس والرفيق والنديم** بحسب تعدد الاعتبارات .

(٦)

التسمية تصنيف :

أن تسمية الاشياء ووضع الالفاظ للدلالة عليها في كل لغة من اللغات نوع من **تصنيف الموجودات** المادية منها والمعنوية فيدخل تحت لفظ الشجرة والدار والنبات والحجر والمشي والقطع والصوت وسائر الألفاظ الدالة على شيء مادي أو فعل افراد كثيرة لاتحصى وليست هي متماثلة متطابقة وكذلك يدخل تحت كل لفظ من الحب والبغض والكرم والبخل والذكاء والبلادة والشرف والخسة والفرح والحزن والغضب والنشوة حالات كثيرة جداً يختلف بعضها عن بعض ولكن اللغة جمعتها تحت عنوان واحد وجعلتها نوعاً يسمى باسم واحد . فكل لغة من اللغات صنفت افراد الكون واجزاء الوجود في مجموعات أو انواع وجعلت لكل مجموعة أو نوع اسماً واحداً فكل ورقة من أوراق الشجر التي وجدت أوستوجد مما لايمكن عده ولا يتصور احصاؤه على اختلاف أشكالها وذواتها تسمى ورقة .

ومن هنا كان بين اللغات شيء من الاختلاف بين الالفاظ فلا يقابل كل لفظ نظيره من اللغة الاخرى مقابلة تامة دائماً **لاختلاف مفهوم الشعوب للوجود واختلافها في تصنيفه** فقد تجمع لغة من اللغات في نوع

واحد وتحت اسم واحد ما تفرقه لغة أخرى في نوعين او اكثر وتسميه باكثر من اسم واحد فالعمة والخالة في العربية يقابلهما في الفرنسية لفظ واحد هو tante وكلمة رسالة في العربية يقابلها ألفاظ مختلفة في الفرنسية وهي lettre ويراد بها الرسالة التي تكتب الى قريب او صديق مثلا و épitre ويقصد بها الرسالة التي تؤلف في موضوع معين و message وهي الرسالة التي يبعث بهـا ملك او رئيس دولة الى مثله في موضوع مع رسول يبلغها و mission وهي رسالة الانبياء ودعاة الاصلاح ، والخسارة والفقدان او الضياع يقابلهما في الفرنسية لفظ واحد هو perte والتراب والأرض يقابلهما لفظ terre .

(٧)

التسمية تجريد :

ان كل لفظ من ألفاظ اللغة عدا الاعلام تدخل تحته افراد كثيرة يسمى كل واحد منها بذلك اللفظ ويبقى اللفـظ مشاعـاً بينها قابـلاً للانطباق على كل واحد منها دون تخصيص فكلمة شجرة مثلاً تنطبق على كل شجرة أياً كان نوعها وأنى كانت بمعنى اننا جردنا من افراد الشجر الكثيرة المتنوعة في أشكالها وألوانها وأطوالها وصفاتهاصورة مشتركة بينها وأطلقنا على هـذه الصورة المتخيـلة المجردة كلمة شجرة وكذلك كلمة فرس وباب ودار فكل منها تشمل أفراداً كثيرة

وأنواعاً مختلفة وأشكالاً متباينة وكل كلمة منها تمثل معنى مجرداً من تلك الأفراد والجزئيات .

والتجريد أظهر وأوضح في الكلمات الدالة على المعنويات فالكرم معنى مجرد من حوادث عديدة مختلفة كاعطاء المال الكثير وبذل الطعام وانزال الضيف وتقديم الاشياء ذات القيمة واشباه ذلك مما ينطبق عليه لفظ الكرم ومثل هذا يقال في كلمات أخرى كالحرية والشرف والعقل والحق .

ان في كل لغة قدراً من التجريد ، فالفاظ اللغة مفاهيم مجردة جردها أصحاب اللغة من الواقع حتى ان اسماء الاعلام التي استثنيناها آنفاً لأن كل اسم منها يقابله مدلول واحد لا تخلو من التجريد لو أمعنا النظر فيها فلو قلت **دمشق وخالد بن الوليد وبردى** واستعملتها في كلامك لا احتاج المخاطب الى التفكير في قصدك هل تقصد دمشق القرن العشرين أم دمشق الفتح الاسلامي وهل تعني خالداً في الجاهلية أم بعد الاسلام وفي أي فترة من حياته وهل تريد بردى في بقعة من مسيره ، في منبعه ام مصبه ، في مروره في المدينة أم في قري الوادي ، ان في كل ذلك تجريدا من الحقيقة المادية لا بد منه فان لدمشق صورة تجرد منها خلال العصور كلها ولخالد بن الوليد صورة تجرد من جميع ايام حياته وينطبق الاسم على كل جزء او فترة منها ولبردى صورة تجرد من امتداده في المكان والزمان عبر القرون .

(٨)

الالفاظ والحقيقة (الخارجية والنفسية) :

ان اللغة كما بينا نوع من التجريد وضرب من التصنيف ولذلك كان من اصعب الصعب ان تصور اللغة بالفاظها الحقيقة كما هي وكما يريدها المتكلم ويتصورها . قال فولتير الكاتب الفرنسي : « تعجز اللغة اي لغة عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا فالفروق بينها كثيرة لا تكاد تلمس فتضطرنا اللغة مثلا ان نعبر بلفظ الحب او البغض عن آلاف من ضروب الحب والبغض كلها مختلفة وكذلك الحال في موضوع آلامنا وملاذنا »ويصف الفيلسوف الفرنسي بركسون الكلمة بانها غير مصقولة تختزن من انطباعات البشر كل ما هو ثابت ومشترك اي غير شخصي وتسحق او تغطي على الاقل الانطباعات الدقيقة والعابرة من وجداننا الفكري» وقال ايضاً : «ان الالفاظ عدا الاعلام تدل كلها على انواع . والكلمة، وهي لا تسجل من الشيء المسمى الا وظيفته الاكثر اشتراكا ووجهه المبتذل ، تندس بينه وبيننا ... وليست الاشياء الخارجية وحدها هي التي تفلت منا بل حالاتنا النفسية الخاصة بنا في اخص ما فيها واكثره شخصية وما نحياه حياة ابداع . فنحن لا نلتقط من مشاعرنا الا جانبها غير الشخصي ذلك الذي استطاعت اللغة تسجيله لمرة واحدة نهائية لانه واحد بالنسبة الى جميع الناس في الاحوال نفسها .» .

ان الكلمة حين يجري بها لسان المتكلم او قلم الكاتب انما يقصدبها غالباً شيئاً بعينه ولكن الكلمة اللغوية بذاتها لا تدل على الشيء المقصود نفسه كما هو في الواقع او في تصور المتكلم فاذا استعمل كلمة غرفة او نهر او فرح فهو يريد غرفة ذات طول معين وعرض وارتفاع ولون واثاث وزينة، ويقصد نهراً بعينه، بمنظره وغزارة مائه وما يحيط به من قفر او نبات او بناء، ويعني فرحا من نوع خاص. فالفاظ اللغة كما قال بركسون لا تصور الحقيقة كما هي بل تندس بيننا وبينها فتحجبها عنا بعض الحجب. ويرافق النطق بالكلمة عند المتكلم مشاعر خاصة تثيرها تلك الكلمة في سياق كلامه كما أحس بها وشعر. ان هذه الحالة من المشاعر وذلك الاطار المحيط بها من الاحساسات لا تنقلها الكلمة معها الى المخاطب الا بكلام اضافي وجهد فني لا يستطيعه الا اديب طاوعته اللغة واستجاب له الفن. ذلك سبب أساسي لما يعتري اللغة وتتصف به الالفاظ من الغموض او العموم والبعد عن الدقة والتحديد.

حياة الالفاظ

لقد شاع استعمال هذا التعبير في عصرنا منذ نحو قرن فشبه علماء اللغة الكلمات بالاحياء وجعلوا لها مولداً وحياة وموتاً كما شاع هذا التشبيه في كثير من العلوم بتأثير علم الحياة (البيولوجيا) الذي كان في اوج عظمته في القرن الماضي وقد عنون دارمستتر[١] من علماء اللغة في فرنسا المعاصرين لداروين كتابه بعنوان **حياة الالفاظ** ونال حظاً كبيراً من الشهرة . ان هذا التشبيه وان كان قد تعرض لنقد بعض اللغويين المحدثين[٢] لا يزال يحتفظ بقيمته على أنه تشبيه، فليس معناه المماثلة الحقيقية.

فلكل كلمة حياة وتاريخ ، لها ولادة قد يجهل تاريخها ، ولا سيما اذا كانت قديمة ، وقد يعلم ككثير من الالفاظ التي ظهرت في الاسلام **كالجهاد والتقوى** او التي صيغت واستعملت في عصرنا لمعنى جديد **كالتطور والفنان والهاتف والاذاعة** . وللكلمة بيئة تعيش فيها ، فقد تكون بدوية البيئة او حضرية ، وقد تعيش وتزدهر في بيئة معينة ، كأن يستعملها الادباء او الرياضيون او الاطباء او الصوفية او الفقهاء او اصحاب المهن والحرف او العامة .

---

(١) Darmesteter. La vie des mots

(٢) Vendryes . Le langage . éd . 1921 ص ٢٢٦

وتتصف الكلمة كذلك بكثرة الاستعمال فتشتهر او بندرته وقلته فلا يعرفها الا فريق من الناس ، وقد تنتقل من بيئة الى بيئة ومن بلد الى بلد .

وقد تعيش الكلمة دهراً طويلا حتى تكون من المعمرين ، وقد يطويها البلى وينقطع استعمالها حتى تحسب في عداد الموتى ثم قد تظهر بعد اختفاء او تبعث من مرقدها وتنشر بعد موتها .

تبدل معاني الالفاظ وتطورها :

ان ما يعتري الكائنات من تبدل وتحول قد يعتري كذلك الالفاظ فتتغير من ناحية شكلها ومبناها ، كأن تتغير حروفها واصواتها او صيغتها وبناؤها ، او من ناحية معناها وهذا موضوع بحثنا . فقد تنتقل الكلمة من معنى الى آخر أو تضيف الى معناها معنى آخر جديداً دون ان تترك الاول فتتعدد بذلك المعاني التي تدل عليها وتستعمل في أي واحد منها على حسب الاحوال والمقامات . والغالب ان يحصل هذا التبدل على مر الايام وتقلبات العصور ويسمى في هذه الحال تطورا لانه انتقال بالكلمة من طور الى طور .

ولنضرب على ذلك بعض الامثلة : ان كلمة طعن كانت تستعمل في العصر الجاهلي للضرب بالرمح ، ثم استعملت بعد الاسلام في علم الحديث والرواية فيقال فلان مطعون في روايته ، ثم استعملت في العصر

الحديث بمعنى قضائي خاص كالطعن في الدعاوي والانتخابات ،وبقيت هذه المعاني كلها ملازمة للكلمة ويعين احدها سياق الكلام . ومثلها كلمة **السلوك** فهي اصطلاح عند الصوفية منذ العصر العباسي ،واصطلاح حديث في علم النفس واصطلاح مدرسي يفيد الدلالة على اخلاق التلميذ. وكلمة **المؤمن** معناها الاول المصدق ومنه قوله تعالى حكاية عن ابناء يعقوب « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ثم استعملت بمعنى ديني خاص هو الايمان بالله خاصة او هو الايمان بالله وبمحمد (ص) رسوله .

ان هذه المعاني التي تتوالى على الكلمة الواحدة قد ينسخ الثاني منها الاول والتالي السابق **كالبأس** بمعنى الحرب[1] **والمسافة** واصلها السوف بمعنى الشم **والحج** بمعنى القصد . ويندر أن تستعمل هذه الالفاظ بغير معانيها الجديدة التي هي الشدة والبعد والحج الشرعي . ولكن الحالة الغالبة ان يضاف المعنى الجديد الى القديم فتجتمع في الكلمة الواحدة معانٍ كثيرة ، وتعددها ناشيء اما عن اختلاف الزمن الذي استعملت فيه او اختلاف بيئة القائل او طبقته او مهنته ، ولذلك كان من الضروري ، لتحديد معنى الكلمة ، معرفة العصر اي تاريخ النص والبيئة التي ينتمي اليها . فكلمة **منطق** في الجاهلية وصدر الاسلام تفيد معنى الحديث والكلام وفي العصر العباسي وخاصة لدى علماء الكلام

---

(١) وهو المعنى المقصود في قوله تعالى « وحين البأس » .

والفلسفة تفيد معني القياس العقلي المقتبس من اليونان ولفظ **الترجمة** استعمل بمعنى العنوان ومنها قولهم فقه البخاري في تراجمه اي في عناوين ابواب كتابه في الحديث، واستعملت بمعنى تاريخ الرجال واحوالهم، ومن ذلك كتب التراجم؛ واستعملت بمعنى النقل من لغة الى لغة ومنه الترجمان. **والزميل** كان معناها الرديف على البعير او الذي يعمل مع صاحبه على البعير، ثم غدت تفيد في العصر الحاضر الرفيق في العمل او المهنة وكأن المعنى الخاص نُسي وان كان المعنى الجديد يشمله لانه اعم.

وهذه المعاني المجتمعة في الكلمة الواحدة يتفرع بعضها من بعض وتتصل بالمعنى الأصلي للكلمة بنوع من الصلة سنوضحها من بعد. فمنها **المعنى الاشتقاقي** او الاصلي أو التاريخي وهو أقدم تلك المعاني واولها اتصالا بالكلمة واقترانا بها وعنه تتفرع المعاني الأخرى، وقد يبقى هذا المعنى مستعملا مع المعاني الأخرى، أو يكون منسياً مهملا وأكثر المعاني الاصلية أو الاشتقاقية في اللغة العربية باقية مستعملة، بخلاف أكثر اللغات الحية فكثير من معاني مفرداتها الاصلية قد اختفت وراء المعاني الجديدة مثل arriver و aborder في الفرنسية ومعناهما وصل ولامس أو قارب واصلهما مأخوذ من rive و bord ومعناهما الشاطىء والساحل او الحافة و gréve ومعناها الاضراب واصل معناها الرمل لان المضربين كانوا يجتمعون عليه و Ville المدينة كان معناها البيت الريفي ومجموع البيوت الريفية Village أي القرية. ومعنى الكلمة

الحاضر قد يكون مختلفاً عن معناها الاشتقاقي وقد يكون متفقاً معه وقد تتعدد معاني الكلمة حلال العصور المتعاقبة فلا تفسر الكلمة الواردة في نص من النصوص إلا بالمعنى الشائع في العصر الذي قيل فيه والا نشأ عن ذلك خطأ سببه اختلاف الزمن وتباين الاستعمال كأن تفسر كلمة حكومة في نص من القرن الأول للهجرة ، اذ كانت تستعمل بمعنى الحُكم الذي يصدر عن الحَكم في قضية ، بمعنى الحكومة المستعمل في العصر الحاضر وهو الهيئة الحاكمة . وكلمه السيارة كانت تفيد معنى القافلة وهي تطلق اليوم على المركبة التي تسيرها المحركات الآلية والهاتف كان يقصد به الصوت لايرى شخص صاحبه واستعمله الصوفية بمعنى الخاطر الوارد الذي يحس به السالك الصوفي حتى كأنه يسمعه، ومعناها الحالي هو تلك الآلة التي تتخذ لتخاطب الناس على البعد .

ان المعاني المختلفة التي تحملها الكلمة خلال العصور وفي مختلف البيئات تبقى كامنة فيها يظهر احدها الاستعمال في نص معين وتبقى المعاني الأخرى مختفية .

المعاني ومعاجم الالفاظ :

ان معاجم اللغة العربية تدون المعاني الاصلية الأولى للكلمة والمعاني الأخرى التي طرأت على الكلمة حتى نهاية القرن الاول للهجرة تقريباً وتقف عند هذا الحد . وأما المعاني التي طرأت بعد هذا التاريخ

فليس من معجم يجمعها الا بعض أنواع منها جمعت في كتب خاصة كمصطلحات الفقهاء أو الفلاسفة[1] ولكن أكثرها غير مجموع وأمام الباحثين عمل كبير في تتبع معاني الالفاظ في النصوص القديمة منذ القرن الثاني للهجرة في كتب الأدباء والمؤرخين والفلاسفة والفقهاء والصوفية ومختلف الوثائق الاخرى .

ولم يرتب أصحاب المعاجم العربية معاني الألفاظ ترتيباً تاريخياً فقد يبدأ أصحابها بالمعاني الجديدة ثم يذكرون المعاني القديمة الأصلية، ونستثني منها معجماً واحداً هو مقاييس اللغة لاحمد بن فارس من رجال القرن الرابع للهجرة ، فقد تتبع في كل مادة معانيها مبتدئاً بما سماه الاصل في كل منها ويعني به المعنى الأصلي الذي ترد اليه سائر المعاني وتتفرع عنه وقد يرد المادة الى اكثر من أصل اذا لم يستطع أن يردها الى أصل واحد ثم يحاول ربط المعانى الفرعية الحادثة بالمعنى الأصلي القديم ويقف كسائر أصحاب المعاجم عند العصر الذي يحتج بأهله وهو أوائل القرن الثاني للهجرة . ذلك هو السبب الذي دعا المستشرق دوزي الى تأليف معجم باللغة الفرنسية سماه (تكملة المعاجم العربية)[1] .

---

(١) وذلك ككتاب التعريفات للسيد الشريف الجرجاني وقوانين الدواوين لسعيد بن مماتي وغيرهما .

Dozy . Supplément aux dictionnasesarabes (٢)

اسباب تطور معاني الالفاظ :

لتطور معاني الالفاظ أسباب من نوعين : **احدهما من داخل اللغة** نفسها وذلك كالتبدل الناشيء من كثرة استعمال لفظ في موضع معين وبجوار الفاظ معينة. فلفظ **اتقى** بمعنى وقى نفسه استعمل بمعناه الأصلي في مثل قوله تعالى « فاتقوا النار » « واتقوا يوماً » « واتقوا فتنة » « واتقوا الله ربكم » « أفمن يتقي بوجه سوء العذاب » ثم استعمل بمعنى ايجابي اعم من المعنى الأصلي فالتقوى غدت تفيد العمل الصالح والمتقون هم الصالحون دون ملاحظة المعنى الاصلي وان كان المؤدى واحداً ، ولفظ **احتال والحيلة** لم تكن تفيد أي معنى يذم بسببه الانسان فيقال احتال لطعامه ولم يكن له في الأمر حيلة ثم اكتسب هذا اللفظ بكثرة الاستعمال في مواطن يلجأ فيها الانسان الى وسائل غير محمودة معنى مذموماً وأصبح لفظ **المحتال** يفيد الذم القبيح ولم يكن كذلك.

ومن الالفاظ التي انحرفت عن معناها بسبب هذا النوع من التبدل الناشيء عن مجاورتها لالفاظ معينة في سياق معين من الكلام كلمة **الفشل** ومعناها الفصيح الضعف ولكن كثرة ترداد الناس لقوله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا » واستشهادهم بهذه الآية في مواطن التنازع المؤدي الى الاخفاق جعلهم يظنون أن معنى الفشل الاخفاق وهو خطأ . ومثلها في هذا الباب **امتاز** ومعناها انفصل ومنه قوله تعالى

« فامتازوا اليوم أيها المجرمون » واذ كانت تستعمل كثيراً في موطن انفصال شيء عن شيء لمزية به فقد لحقها معنى آخر اضيف الى الانفصال وهو التميز بالفضل والرجحان وهو معنى وان لم يكن في أصل اللغة لكنه لا ينافيه بل هو نوع من التخصيص الذي سنذكره .

ان الثورات الاجتماعية ولاسيما الفكرية والتطور الاجتماعي ، بسبب ماتؤدي اليه من تبدل الاشياء التي يراها الانسان أو يستعملها وتبدل المفاهيم ، تؤدي في غالب الاحوال الى تطور لغوي ، فتموت الفاظ وتحيى اخرى ، وتتبدل معاني بعض الالفاظ ، وهي التي كان لها معنى واستعيرت لمعنى جديد هو نتيجة تلك الثورة أو ذلك التطور الفكري. إن انتشار اديان أو مذاهب اجتماعية جديدة يقترن غالباً بظهور مفردات لغوية جديدة في صياغتها أو في معناها على الاقل للدلالة على المفاهيم الجديدة . فالفاظ **الايمان والكفر والنفاق والفسق والصلاة والصوم والزكاة . الجهاد والتوبة والكفارة والتيمم والتقوى والدنيا والآخرة والحلال والحرام** وكثير غيرها ظهرت بمعانيها الجديدة بظهور الاسلام وعرف كل مذهب اجتماعي في عصرنا بالفاظ خاصة به للتعبير عن مفاهيمه الخاصة الجديدة. إن تبدل العادات خلال العصور التاريخية قد يؤدي الى تغير الشيء المسمى مع بقاء الكلمة الدالة عليه وبذلك يكون مدلول الكلمة نفسه قد تغير ضمناً ولو في شكله . فمن ذلك أن من يتزوج من العرب كان يخرج عن بيت

ابيه ويبني لنفسه خباء مستقلا ولذلك قالوا بنى بزوجته اي بنى بيتاً معها وكان المهر المستعمل ابلا أو غنماً تساق فقالوا السياق بمعنى المهر وساقه لها وكانوا اذا باعوا شيئاً صفق البائع على يد المشتري فسموا البيع صفقة وبقي اللفظ وذهبت عادة الصفق . واستعمل الصحابة ثم مؤلفو السيرة كلمة غزوة فقالوا غزوة بدر وغزوة احد مع أن هذا اللفظ الجاهلي استعمل لمعنى للحرب في الاسلام يختلف عنه في الجاهلية .

وكل ماذكرناه عن الاسباب الاجتماعية لاتنتج دوماً نتائجها دون تخلف فكثيراً ماتتبدل المفاهيم والاشياء وتبقى الاسماء كما هي ولا يشترط لوجود المفهوم الجديد وجود لفظ واحد يقابله ولذلك كان لا بد لهذه الاسباب الاجتماعية لتؤدي نتائجها اللغوية في تبديل معاني الالفاظ او إحداث ألفاظ جديدة من أسباب واستعدادات نفسية تظاهرها وتعينها ، لابد من رغبة قوية او حاجة في النفس ملحة ، او حاجة حقيقية مادية لامحيد عنها كوجود شيء حسي جديد ليس في اللغة اسم سابق يدل عليه .

أسباب نفسية :

ان الآداب الاجتماعية والحياء والاشمئزاز والتشاؤم والتفاؤل كلها اسباب نفسية تدعو الى تجنب كثير من الألفاظ والعدول عنها الى غيرها من الألفاظ التي يكنى بها عن الأشياء التي يستحي من

ذكرها او يخاف او يتشاؤم من التلفظ بأسمائها وذلك كبعض أعضاء الانسان وأفعاله وبعض الأمراض والعاهات وبعض أنواع الحيوان. فقد استعمل العرب **البصير** للأعمى **والسليم** للديغ والمفازة للصحراء واستعمل النـاس من بعد **الكفيف** أي مكفوف البصر . وتسمية **اليسار واليسرى** للجهة واليد في رأينا من هذا القبيل أي للتفاؤل وأما **اليمين** واليمنى فتسميتها على الأصل لأنهم يتفاؤلون منها .

ومن أسباب تبديل معـاني الألفاظ : **أثر اللغات الأجنبية** باشراب الكلمة العربية معنى الكلمة الأجنبية المقابلة لها او إعطائها معناهـــا كاستعمال الأطباء اليوم كلمة **تدخل** بمعنى العملية الجراحية واستعمالنا كلمة **الوسط** للبيئة **والمحيط** كذلك **والتحليل** للشرح والتفسير **والمدرسة** بمعنى المذهب **والدور** بمعنى النوبة فهي ترجمة حرفية للألفاظ الفرنسية rôle, école, analyse, ambiance, milieu, intervention ومثلها بعض الألفاظ التي نقلت عن اليونانية ، ككلمة **منطق** فهي ترجمة حرفية للكلمة اليونانية .

تبديل الألفاظ الدالة على المعنى :

إن لهـذه المسألة التي نبحثها وهي تبـدل معاني الألفـاظ وجهين وعلماء اللغة في عصرنا يبحثون غالبـاً في أحدهمـا وهو تبديل اللفظ لمعناه على اعتبار أن اللفظ ثابت ومعناه هو المتبدل ، ولكن للمسألة

وجهاً آخر بحثه بعض اللغويين ايضاً وهو بقاء المعنى ثابتاً وتبديل اللفظ الدال عليه وتكاد تكون الأسباب السابقة لتبديل المعاني هي نفسها أسباب تبديل الألفاظ ايضاً . فالأسباب التاريخية والاجتماعية والنفسية تؤثر في تبديل الألفاظ الدالة على المعاني كما أثرت في تبديل معاني الألفاظ . وقد تقدم بعض الأمثلة في بحثنا فقد استعمل العرب بعد الاسلام لفظ **الجهاد** وهو اللفظ الذي جاء به القرآن بدلاً من الحرب والغزو والاغارة فتغير اللفظ الدال على الحرب لتغير مفهومها في الأذهان . وكذلك ألفاظ **الفتوح والاحتلال والاستعمار والتحرير** فقد استعمل المسلمون كلمة الفتح واستعمل الأوربيون في العصر الحديث الاحتلال والاستعمار والتحرير بحسب وجهات النظر المختلفة ومن ذلك قول النبي العربي الكريم (ص) لايقل أحدكم **عبدي وأمتي** وليقل **فتاي وفتاتي** . وقالوا عن الزوجة **امرأة** الرجل **وزوجه وحليلته وعقيلته وحرمه ورفيقته** على اختلاف العصور منذ الجاهلية حتى هذا العصر .

ومن أسباب هذا التبدل ما يصيب الألفاظ من **ابتذال وبلى** حتى يشعر المتكلم بالحاجة الى تجديد اللفظ وتقويته وتبديله . ويكون هذا في المعاني المقترنة بالتعظيم والمحبة او التحقير والكراهة او الاستحياء او الاشمئزاز وذلك كالألفاظ المتعلقة بالمناصب او الحياة الجنسية او قضاء الحاجات الخاصة او المرض او الموت وأشباه ذلك.

قوانين تبدل معاني الالفاظ وتطورها :

إن فقه اللغة يحاول أن يستنتج علة الظواهر اللغوية وأن يعرف الطريق التي تسير فيها والسنة التي تجري عليها ، لذلك بحث السابقون من علماء العربية عن الطريقة العامة التي تسير عليها الألفاظ حين تغير معانيها ، فعقد السيوطي في كتابه المزهر فصلاً للفظ العام الذي خص في الاستعمال وفصلاً آخر للخاص الذي استعمل عاماً واستمر العلماء المحدثون في فقه اللغة في سائر اللغات الحديثة في بحثهم عن قوانين تبدل معاني الألفاظ . وقد تبين ان الألفاظ تسلك في تبديل معانيها إحدى الطرائق الآتية وهي مطردة في جميع اللغات وليست خاصة بواحدة منها :

١ ــ التعميم :

ويكون ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه الى معنى أعم وأشمل كلفظ الورد والورود وأصله إتيان الماء ثم استعمل لاتيان كل شيء والنجعة لطلب الغيث او الكلأ ثم استعملت لطلب أي شيء والرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث ومنه المثل الرائد لا يكذب أهله ثم عمم لكل من يتقدم القوم لطلب شيء وفي حديث وفد عبد القيس : إنّا قوم رادة

أي نرود الخير والدين لأهلنا [1] . ومثل ورد صدر وكذلك الغرض والهدف ويشبه هذه الأمثلة في اللغة الفرنسية arriver الوصول وأصلها الورود و aborder الملامسة والمقاربة وأصلها مقاربة الشاطىء و panier وأصل معناها سلة الخبز وهي مشتقة من pain وهو الخبز ثم غدا معناها السلة مطلقاً .

٢ ـ التخصيص :

وذلك بقصر اللفظ الذي معناه عام على بعض أفراد هذا العام وتضييق شموله ومثال ذلك لفظ الحج وأصله القصد مطلقاً ثم خص بقصد البيت الحرام وأرى أنه عمم بعد التخصيص فغدا يطلق على زيارة الامكنة المقدسة في كل دين، ومن ذلك كلمة الصحابة وهي تعني الصحبة مطلقاً وقد خصصت بأصحاب الرسول (ص) ومنه الكفر ومعناه الستر والانكار وخص بانكار الدين والتوبة الرجوع وخصت بالرجوع عن الذنب ومثلها الماشية والسائمة والقافلة والوضع والحمل والفضل وهو الزيادة وخص بخصال الخير والسائل والدنيا والآخرة . والعقوبة في رأينا من هذا القبيل لأنها تأتي عقب الجرم وخصصت بالجزاء يناله المجرم او المذنب والوَرْد وهو نور كل شجرة ثم غلب على نوع خاص معروف .

---

(١) لسان العرب مادة ورد .

وقد يقع التخصيص بنتيجة الحذف كحذف المضاف اليه او الصفة ومثاله لفظ الدنيا والأصل الحياة الدنيا والجامعة والأصل المدرسة الجامعة والعملية أي الجراحية والكفيف أي مكفوف البصر والمحروم أي من المال. وقد يقع التخصيص بقرينة استعمال اللفظ في سياق معين من الكلام وبحسب بيئة المتكلم او المخاطب او مناسبة الكلام كلفظ موسم بالنسبة للزراع او الرعاة او الصناع او الباعة .

٣ ــ الانتقال بسبب المشابهة او المجاورة :

ويكون بانتقال اللفظ من معناه الى معنى مشابه له او قريب منه او بينه وبينه مناسبة وقد رأينا كيف أن لفظ ميّز وتميّزوا ممتاز وأصل معناها الفصل والفرز انتقلت الى معنى قريب وهو الانفصال لمزية وفضل في كلام المتأخرين وأن لفظ الحيلة والاحتيال انتقل من معنى السعي للخروج من ضيق الى معنى فيه مكر وخبث وفسقت الرطبة خرجت من قشرها انتقلت الى معنى الخروج عن الخلق القويم والطريق المستقيم ، والبريد في الأصل مسافة معروفة ثم استعمل للرسول الذى يقطع المسافات من البُرُد لايصال الكتب ثم للدابة التي تحمله ثم استعمل للمصلحة التي تتولى إرسال الكتب والرسائل .

ويحصل انتقال اللفظ من معنى الى آخر بطرق أبرزها الاستعارة أي المجاز الدي علاقته التشبيه والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته

غير التشبيه كالسببية والحالية والمحلية والجزئية والكلية . ولا بد لنا من القول إن استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادىء الأمر عن طريق المجاز ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالته على مدلوله الجديد دلالة حقيقية لا مجازية . إن كلمة **بحث** تفيد في الأصل تحريك اليد في التراب للتفتيش عن شيء **واقتبس** تدل على طلب القبس من النار **والعقل** تدل على الربط **والروعة والاروع والرائع** مأخوذة من الروع وهو الفزع **والباب** من الكتاب مأخوذ من الباب الذي ندخل منه **والمعركة** مشتقة من عرك الشيء **والتثقيف** تدل على تقويم اعوجاج الرمح . وجميع هذه الألفاظ تدل على معانيها الأخرى المتعارف عليها دلالة مباشرة لا عن طريق المجاز بل إن دلالتها عليها أقرب الى الذهن من دلالتها الأصلية لشيوع المعنى الجديد وانتشاره وخاصة بعد طول العهد بهذا الاستعمال. وفصل ما بين الحقيقة والمجاز في دلالة مثل هذه الألفاظ هو شعور الناس بكون اطلاق اللفظ على مدلوله هو تسمية مباشرة او نوع من التشبيه او المجاز لمناسبة بينهما .

والاتجاه الظاهر في تطور معاني الألفاظ يكون من **المعاني المحسوسة الى المعاني المجردة كالبحث والعقل والاقتباس والادراك والوعي والشرف والروح والحرة والفضل** وكلها تدل في الأصل على معان حسية ومدلولات مادية . وأما النقل من الحسي الى الحسي فيقع كثيراً

كأسنان المشط ورأس الجبل ، وكوصفنا للصوت بالنعومة والخشونة والحدة والوضوح مع أن الوضوح للمرئيات لا للمسموعات والصفات الأخرى للملموسات .

تلك هي نظرة موجزة في حياة الألفاظ ومعانيها وتطورها مما ينطبق على جميع اللغات مع شواهد عليها من لغتنا العربية وهي تفتح أمامنا آفاقاً للبحث جديدة فان أكثر عناية أهل اللغة عندنا انصرفت الى مادة الكلمة واشتقاقها وأوزانها وإن هذه النظرات الجديدة في دلالة الالفاظ ومعانيها المستقاة من مباحث فلسفية ونفسية واجتماعية ولغوية جديرة بأن توصلنا إذ نتزود بها الى نتائج ذات قيمة كبيرة في موضوع لغتنا . إن اللغة العربية بحاجة شديدة الى جمع مفرداتها ومعاني مفرداتها ،في العصور التي تلت عصور الاحتجاج اللغوي ،وتتبع مراحلها وربطها بالمراحل التي سبقتها بعد تصنيفها ودراستها. فان اللغة في الحقيقة سارت حين وقف النحاة واللغويون وبقيت حية متحركة حين جمدوا وهذه الدراسة الشاملة تعطينا فكرة صحيحة عن اللغة العربية وخصائصها ومزاياها وخط تطورها .

* * *

وإن مباحث الأصوات اللغوية والاشتقاق والأبنية ومعاني الألفاظ التي بحثناها في هذا الكتاب جديرة بأن تنير لنا السبيل لمعرفة

خصائص اللغة العربية الأصيلة فنتمكن حينئذ من السير بها في طريق الحياة والتقدم مع الحفاظ على أصالتها وعبقريتها الحافظة الى حد كبير لعبقرية العرب وأصالتهم الضامنة لاستمرارهم والمقترنة كذلك باداء رسالتهم الانسانية صافية نقية «انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» والحمد لله رب العالمين .

❀ ❀ ❀

المراجع العربية

ابن قتيبة	أدب الكاتب . القاهرة ١٣٥٥
ابن جني	الخصائص ٣ أجزاء . القاهرة ١٩١٣ و ١٩٥٦
〃	سر صناعة الإعراب . القاهرة ١٩٥٤
〃	المنصف شرح كتاب التصريف للمازني القاهرة ١٩٥٤
ابن فارس	الصاحبي في فقه اللغة
〃	معجم مقاييس اللغة ٦ أجزاء
أبو حاتم الرازي	الزينة . القاهرة ١٩٥٧
ابن منظور	لسان العرب
السيوطي	المزهر . تحقيق محمد أحمد جاد المولى
حسن صديق خان	العلم الخفاق في علم الاشتقاق مطبعة الجوائب القسطنطينية ١٢٩٦ هـ
الشيخ طاهر الجزائري	الكافي في اللغة . القاهرة ١٣٢٦ هـ
عبد الله العلايلي	مقدمة لدراسة لغة العرب
الاب انستاس الكرملي	نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها
جرجي زيدان	الفلسفة اللغوية
الدكتور علي عبد الواحد وافي	علم اللغة
〃 〃 〃 〃 〃	فقه اللغة
زكي الارسوزي	العبقرية العربية في لسانها
عبد الله أمين	الاشتقاق . القاهرة ١٩٥٦
الدكتور ابراهيم أنيس	دلالة الالفاظ . القاهرة ١٩٥٨
〃 〃 〃	من أسرار العربية . القاهرة ١٩٥١

المراجع الأجنبية

Vendryes . Le langage 1922

Darmesteter . La vie des mots . éd . 1937

S . Ulmann . Précis de sémantique française Berne . 1952

Marouzeau . Précis de stylistque française Paris . 1950

La linguistique . Paris 1950

Notre langue. 1955

Cressot . Le style et ses techniques Paris 1951

M . Schone . Vie et mort des mots . Paris 1951

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٥	اليها	اليه
١٣	٩	كقولنا	...
١٤	٦	وخلجة	وخلجه
١٦	١٥	افكار	افكاراً
٣٥	٨	المهجورة	المجهورة
٤١	١٦	للعل	للعلل
٤٤	١٨	او ان تلك الهجرة لم تحدث	...
٤٥	٣	بحث	يحدث
٥٧	٨	جميعها	جمعها
٦٥	٤	وقد	...
٧٢	١٤	مع	معنى
٨٢	٥	النفشي	التفشي
٩٠	١١	الكبير	الكبير والأكبر
٩٠	١٤	الكبير	الأكبر
٩٣	٦و٦	ضف	صنف
٩٥	١٧	أشتراك	اشتراك
٩٢	٢	وقدهذه	وقد
١٠١	٩	émowoir	émouvoir
١١٠	٥	ملكة	ملكته

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٣	٨	فعاعلل	فعالل
١٢٣	٦	العوبية	العربية
١٢٤	٣	يحظ	بحظ
١٢٥	١٥	تسمى	يسمى
١٤٦	٩	للتي	التي
١٥٢	٢	كذك	كذلك



آثار المؤلف

فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ دمشق ١٩٤٠
نظرة الاسلام العامة في الوجود » ١٩٥٨
من منهل الأدب الخالد » ١٩٥٩
الامة العربية في معركة تحقيق الذات » ١٩٦٠

